

علم اللغة النظامي

مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداى

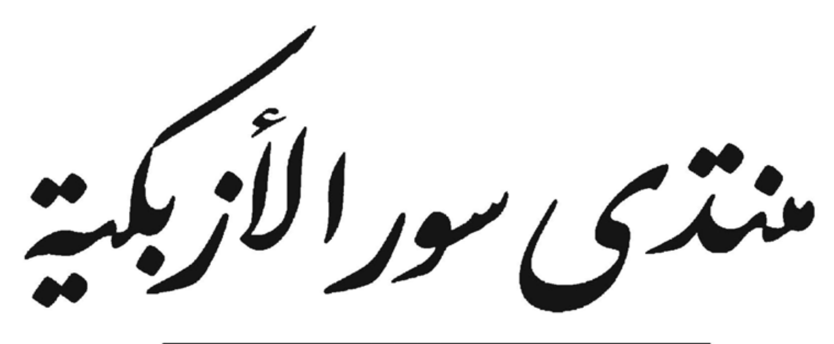
الدكتور

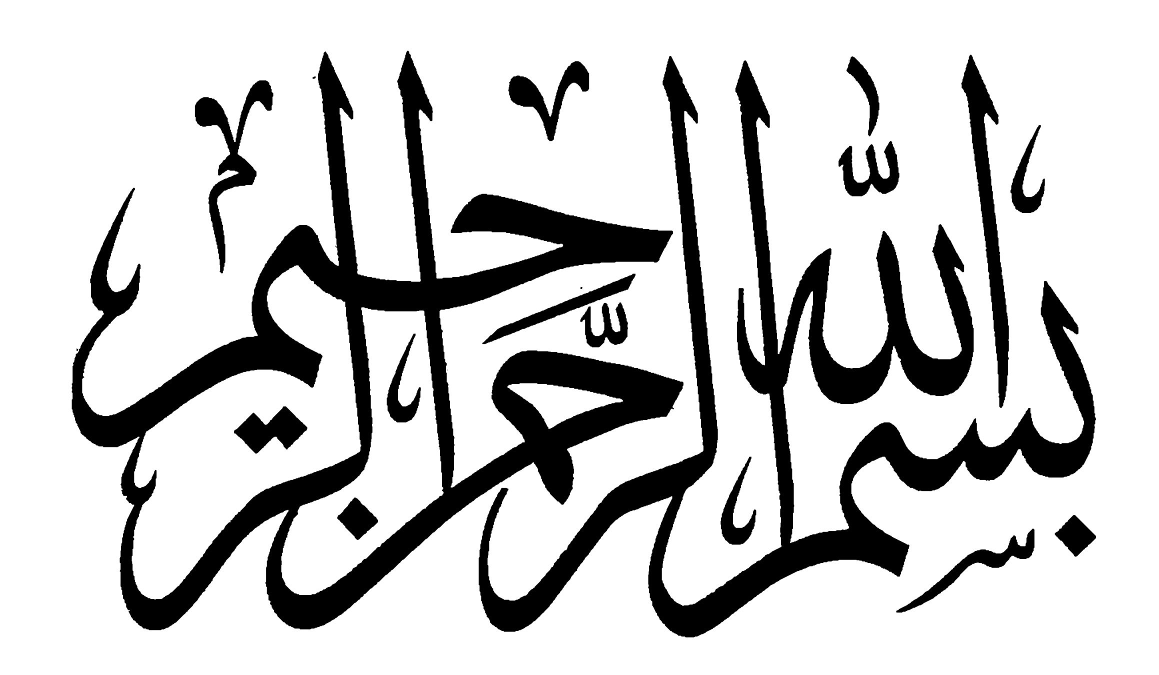
محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠٠١




منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET


بسم الله الرحمن الرحيم



علم اللغة النظامى

مدخل إلى النظرية اللغوية
عند هاليداى

علم اللغة النظامى

مدخل إلى النظرية اللغوية
عند هاليداى

الدكـتـور

محمود أحمد نحلة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مُقَدِّمَة

ثمة نظريات لغوية حديثة لم يكتب لها من الشهرة والذيوع ما كتب لغيرها، بالرغم مما تتميز به من ضبط منهجي ، وتواؤم مع طبيعة اللغة، وقابلية للتطبيق. فمنذ أن ظهرت النظرية التحويلية التوليدية فملأت الدنيا وشغلت الناس شغف شباب الباحثين بها ، وتضاءل اهتمامهم بما عداها من نظريات لا تقلّ عنها أهمية فى النظر والتطبيق. ومن هذه النظريات التى لم تلق ما تستحق من اهتمام تلك النظرية التى تُعرف بعلم اللغة النظامى Systemic Linguistics. وهى التى يقوم هذا البحث على التعريف بها ، وإبراز مكانتها بين النظريات اللغوية المعاصرة بالكشف عن التصور العام للغة الذى تدور فى إطاره، والمصادر العلمية التى تعتمد عليها، والأسس المنهجية التى تقوم عليها، مع بيان ما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها من النظريات، وما تفترق به عنها ، وبخاصة النظرية التحويلية التوليدية ، ثم تتبع مراحل تطورها منذ مرحلة النشأة حتى استوت نظرية متكاملة.

لقد عبر بعض الدارسين للمدارس اللغوية المعاصرة عن انصراف الباحثين إلى المدرسة التحويلية التوليدية ، وقلة الاحتفال بما عداها من مدارس، وبخاصة مدرسة لندن، التى نشأت فيها النظرية النظامية وتطورت، فقال جفري سامسون ما ترجمته: " وفى الوقت الراهن نرى أن الفريق المناسب الذى يُفضَّلُ الانتساب إليه هو الفريق الأمريكى؛ فالفكرة مهما كانت غير مختمرة تؤخذ على محمل الجدّ إن كانت صادرة عن " معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا " حتى لو

كانت مسبوقة بأعمال قيمة أنجزت فى " الأمـــاكن الخاطئـــة " ، فعلـــى الرغم من أن هذه الأعمال لا ترفض ، لكنها تئول إلى الإهمال"[١] وقال: " وفى لندن ، وكذلك فى بقية الجامعـــات البريطانيـــة وجامعـــات دول الكومنولث هناك علماء ما فتئوا يعملون ضمن إطار المنهج الفـــيرثى ، لكن عددهم ضئيل الآن ، أو أن منشوراتهم تضاءلت على الأقل أمـــام الجيل الجديد المفتون بتأثير تشومسكى ."[٢] ثم قال : " فبالنسبة للســانى الشاب فى أيامنا هذه فإنّ الطباعة الفاخرة ، والتجليد الأنيق لمحـــاضر الجمعية اللغوية Transaction of the Philological Society تنم عن التهذيب ، وعن الفقر بسترته المرقعة ، وعن الحنين إلى الأمجاد الغابرة على الحدود الشمالية الغربية . أما النشرات المطموسة والمطبوعة على ورق الحرير ، والخارجة لتوها من مطابع نادى اللســانيات بجامعـــة " إنديانا " فتتمتع بكامل إمكانات برنامج " أبولّـــو"، واقتصـــاد البليـــون دولار. لســوء الحظ يبـــدو أن المنطق السليم (الذى تستطيع مدرســـة لندن أن تقدم منه كل ما يمكن أن يقدمه منـــهج أسســـه رجـــل مـــن يوركشير ، والعلم الدقيق الذى أقل ما يقال إنها حظيت منه بنصيـــب لا بأس به بالمقارنة مع الحركة التى طغت عليها) اعتبارات لا قيمة لـــها أمام هذا التيار الهائل."[٣]

---

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات : التسابق والتطور . ترجمة: محمد زياد كبة ـــ منشورات جامعة الملك سعود . الرياض ١٤١٧هـ ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) السابق ص ٢٥١.

(٣) السابق نفسه.

لقد قام علم اللغة النظامي في مبدأ أمره علـــى أفكـــار اللغـــوى الإنجليزي البارز ج. آر . فيرث J. R. Firth (١٨٩٠ ــ ١٩٦٠).

وعلى الرغم من أن ما نشر من أفكار الرجل يعدّ قليلاً نســبيا ، ويعيبه أمران : فقدان الوضوح inexplicitness ، وفقـــدان التماســك incoherence ، فقد كان أثر فيرث في تلامذته عظيما ، وكان أكثرهم وعيا بأفكار أستاذه ، واستيعاباً لها ، مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي ، الذى استطاع أن يمنح هذه الأفكار الوضوح والتماسك ، واستطاع منـــذ وقت مبكر أن يضع إطاراً نظريا محكماً لنظرية لغوية تقوم على أفكار فيرث ، يشاركـــه أحياناً بعض زملائه ، حتى أطلق عليهم الباحثون : " الفيرثيين الجدد " Neo-Firthians . وما من شك في أن فارسهم الذى لا يشق له غبار كان هاليداي . على أن هاليداي لم يكتف بمـــا تمثلـــه مـــن أفكار فيرث ، بل وسّع دائرة معارفه ، فأفاد من مصادر أخـــرى لعلّ أهمها نظرات مالينوفسكى وورف ، وهيلمسلف ، ومدرسة براغ ، في وضع نظرية محكمة للوصف اللغوى من الممكن اســـتخدامها فـــى وصف لغات مختلفة ، ومازال بها يطورها ، ويعدل مسارها حتى ظـــنّ بعض الباحثين أنه عدل عن أفكاره المبكرة ، واتجه بالنظريـــة اتجاهـــا آخر جديدا .

والحق أن النظرية قد مرت بمراحل من التطور لكنها لـــم تفقـــد فيها- على الأقل عند هاليداي - الأسس المنهجية التى قـــامت عليـــها، حتى ليمكن القول إن هاليداي لم يخرج بالنظرية عن إطارها المرســـوم لها بالرغم مما قام به من تطوير، لكن بعض زملائه ، وبخاصة هدسون

انحرف بمسار هذه النظرية إلى وجهة أخرى ، واقترب بـــها اقترابـاً شديداً من نظريات أخرى تختلف عنها اختلافاً بينا كالنظرية التحويليـــة التوليدية • فتداخلت عنده بعض جوانبها مع هـــذه النظريـــة ، وفقــدت بعض تميزها أو كادت • من ثم سوف يكون تتبعنا لهذه النظرية مــــن خلال ما قام به هاليداي نفسه محددين تصوره العام ، ومصادره العلمية التى استعان بها على تأسيس هذه النظرية ، والأسس المنهجية التى تقوم عليها وتختلف بها عن غيرها من النظريات المعاصرة ، ثـــم نعـــرض لمرحلتين أساسيتين من مراحل تطورها.

وبناء على ما قدمت جعلت هذا البحث فى بابين وأربعة فصـــول فعقدت الفصل الأول من الباب الأول للمصادر العلمية التى استعان بـــها الرجل فى وضع نظريته العلمية ، وعقدت الفصل الثانى من هذا البـــاب للحديث عن الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظـــامى، مـــا يتفق منها مع النظريات الأخرى المعاصرة. وما يختلف منها عنها. وقد تتبعت فى الباب الثانى نشأة النظرية وتطورها فقسمته إلى فصلين كـــل منهما يمثل مرحلة أساسية من مراحل تطورها فجعلـــت الفصـــل الأول للحديث عن المرحلة الأولى من تطور النظرية متمثلة فى نحو المقيـــاس والفصيلة ، وجعلت الفصل الثانى للمرحلة الثانية التى بـــدأت معالمـــها تظهر منذ منتصف العقد السادس من القرن العشرين حتى انتهت إلـــى نموذج أشدّ إحكاماً من سابقه سمى علم اللغـــة النظـــامى Systemic Linguistics أو النحو النظامى Systemic Grammar لمـــا أصبـــح لمفهوم النظام من أهمية بالغة فيه• وقد حملت ملامح التطـــور توجـــها

وظيفيا جعل بعض الباحثين يطلق على نموذج هاليداي فى هذه المرحلة " النحو النظامى الوظيفى " أو علم اللغة النظامى الوظيفى ٠ أما المرحلة الثالثة فيمكن التاريخ لها بكتاب هاليداي مدخل إلى النحو الوظيفى سنة ١٩٨٥ An Introduction to Functional Grammar، إذ كان ثمرة اهتمامه المتزايد بوظائف اللغة فى المجتمع وما يعبر عنها من تراكيب ، وقد وضع به أسس نظرية وظيفية غير منبتة الصلة عن الأسس المنهجية التى قام عليها فكره اللغوى فى المراحل الثلاث ، بل إن نحوه النظامى يمثل المرتكز الأساسى لنحو الوظيفى ، ومن هنا تميزت نظريته الوظيفية عن نظريتين وظيفيتين معاصرتين هما : النحو الوظيفى Functional Grammar عند سايمون دك S.C.Dik (١٩٨٠) ، والنحو الوظيفى التوحيدى Functional Unification Grammar عند كاي Kay (١٩٨٤ ، ١٩٨٥)٠ وهذه المرحلة من الثراء والعمق بحيث تحتاج إلى بحث منفرد يعنى بجوانبها المختلفة ٠ من ثم اقتصرت فى هذا البحث على المرحلتين الأولى والثانية ، وتركت لمن يأتى بعدى استكمال هذا الجانب. ولا يفوتنى فى ختام هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل للصديق العزيز الأستاذ السيد عبد القادر على متابعته فى إخلاص وتجرد مراحل طباعة هذا البحث وتصحيح تجاربها ٠ والله الموافق والمعين.

محمود نحلة

البَابُ الأوَّلُ

المصادر العلمية والأسس المنهجية

الفصل الأول

المصادر العلمية

تعددت المصادر التى صدر عنها هاليداي فيما وضع من أسس نظريته وليس من الميسور تمييز ما استقاه من هذه المصادر عن أفكاره الخاصة • وقد استصعب ذلك روبنز إلى حدّ جعله يقول : " إن السؤال عما وسّعته نظرية هاليداي وطورته من أفكار فيرث أو مما أخذه عن غيره يظل بلا جواب•"[1] ولعل مردّ ذلك إلى أن الرجل تمثل ما جاء فى هذه المصادر حتى ملك زمامه ، ثم طوره ، وأحكمه، وخلطه بفكره وتصوره، فاستوى خلقاً آخر.

على أن ذلك لا يمنعنا – وما ينبغى له – من محاولة تعرف مصادره الأولى ، وكيفية استثماره لها ، وبخاصة فى المرحلة المبكرة من وضع النظرية • وليس من شك في أن مصدره الأول فى هذه المرحلة كان أستاذه فيرث بما أرساه من مبادئ نظرية أفاد فيها من بعض اللغويين البريطانيين مثل هنري سويت ودانيال جونز فضلاً عن عالم الأنثروبولوجيا البولندى مالينوفسكى ، كما أفاد فيها من اختلاطه بالدارسين والباحثين الأجانب فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS الذين تختلف ألسنتهم وعاداتهم وأنماط سلوكهم •

ولفيرث مكانة رفيعة بين رواد البحث اللسانى اللغوى المعاصر، فقد كان أول أستاذ لعلم اللغة العام فى الجامعات البريطانية عام ١٩٤٤ ، وكان أول من جعل من علم اللغة دراسة علمية متميزة معترفاً

(1) Robins,R.H.:General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London , New York (1980) .P.282

بها فى بريطانيا العظمى[1] بعد أن أسس قسما لعلم اللغــة عــام ١٩٣٢ كان الأول من نوعه فى بريطانيا [2] وكان نواة لمدرسة لغوية عرفــت من بعد بمدرسة لندن ، وعدت المدرسة الرابعة بجانب المدارس الكبرى الثلاث : مدرسة براغ ، ومدرسة كوبنهاجن ، والمدرسة الأمريكيــة. [3] وقد تلمذ لفيرث معظم الباحثين فى مجال علم اللغة فى بريطانيا ، فجـاء إنتاجهم متأثراً بأفكاره وتصوراته حتى لقد أصبح اسم مدرســـة لنــدن يطلق على المنهج البريطانى بعامة[4] كما تلمذ له عدد من رواد الــدرس اللغوى الحديث فى مصر والعالم العربى منهــم تمام حسان ، وكمــال بشر ، وعبد الرحمــن أيوب ومحمــود السعــران[5] فكانوا عونــا لــه على دراسة أصوات العربية الفصحى ونظامها المقطعى والمقارنة بينها وبين العامية المصرية ، إيضاحاً لنظريته فى الفونولوجيا التطريزية. [6]

لقد اهتم فيرث اهتماما كبيراً بأعمـــال اللغوييــن البريطــانيين وبخاصة هنري سويت H. Sweet (١٨٤٥ ـــ ١٩١٢) ودانيال جونــز

---

(1)Ibid, P. 349.

(٢) جفرى سامسون: مدارس اللسانيات : التسابق والتطور ، ترجمة محمد زيـــاد كبــة. منشورات جامعة الملك سعود الرياض (١٤١٧هـ/١٩٩٧) ص ٢٢٧ .

(3)Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen S.8f

(٤) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧.

(٥) حلمى خليل : العربية وعلم اللغة البنيوى ، دراسة فـــى الفكــر اللغــوى الحديــث (الإسكندرية ١٩٩٦) ص١٦٧.

(6) Firth. J.R. Sound and prosodies, in: Jones, W.E & lover, J. (eds): (1979. Phonetics in Linguistics A Book of Readings. P.52ff.

D. Jones (١٨٨١ ــ ١٩٦٧) وقد كان سويت يعد بحق رائــــد علــم الأصوات الحديث ، ويعدّ كتابه Handbook of Phonetics (١٨٧٧) بالغ الأهمية فى انتشار المعرفة بهذا العلم الجديد. [1] وكـــان اهتمامــه بالجوانب العلمية فى علــم الأصوات يعدل اهتمامه بالجوانب النظرية • وكان ظاهر الميل إلى المنهج الوصفى فى دراسة اللغة فـــى مواجهــة المنهج التاريخى الذى كان سائداً فى ألمانيا ، وبرغم ذلك كان الألمـــان أسبق إلى الاعتراف به عالما مبرزاً فى الدرس الصوتى ، وقد تحقــق له ذلك فى ألمانيا أسرع مما تحقق له فى وطنه ، إذ منعه اتجاهه النقدى من الحصول على درجة الأستاذية فى أية جامعة بريطانية. [2]

وأما دانيال جونز فقد تأثر مذهب سويت ووسع جوانبه[3]وكان له اهتمام مماثل بالجوانب العلمية فى الدرس الصوتى ، واستطاع أن يثير الاهتمام بمشكلة الكتابة الصوتية فى بعض اللغات التى تختلف أنظمتــها الكتابية عن نظام الإنجليزية كالسنسكريتية ، والفارســية ، والعربيــة ، وانتهى إلى أن نظام الكتابة فى بعض اللغات ومنــها العربيــة أكــثر ملاءمة للنظام الفونولوجى منه فى اللغة الإنجليزية. [4] وقد أفــاد مــن

---

(1)Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London. P. 1 f

(٢)ر • هــ • روبنز : موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب) ترجمة أحمد عوض • عــالم المعرفة ٢٢٧ الكويت ١٩٩٧ ص٣٢٣ •

(٣)السابق ص ٣٤٨

(٤)السابق نفسه ص ٣٢٢ وانظر.

Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman) P51-52 ff

كتابه خلاصة علم الأصوات Outline of English Phonetics عدد لا يحصى من دارسى اللغات ومدرسيها. [1]

وقد كان أثر هذين العالمين فى فيرث عظيما ؛ إذ أخذ عنهما الاهتمام بوصف اللغات لأغراض عملية،[2] وأعانه على ذلك عمله فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS ، وكانت مؤسسة تابعة لجامعة لندن أنشأتها الحكومة استجابة للحاجة الملحة لدراسة لغات الإمبراطورية وثقافاتها ، وكانت تغص بأناس أمضوا جزءاً كبيرا من حياتهم العملية فى اتصال مباشر باللغات والثقافات الأجنبية . وكانت الإمبراطورية البريطانية بالقياس إلى مدرسة لندن بمثابة الهندية الأمريكية بالقياس إلى الوصفيين الأمريكيين ، مع فارق شديد الأهمية هو أنّ الأمريكيين انصرفوا إلى دراسة لغات على وشك الانقراض فى حين أن اللندنيين كانوا يدرسون لغات حية غير مهدّدة بالانقراض، فواجهوا مهمة تطوير الوسائل اللازمة للتواصل مع أهل هذه الحضارات،[3] ومن هنا أصبحت الجوانب العملية فى دراسة اللغة جزءاً لا يتجزأ من المنهج البريطانى لدراسة اللغة ، وبرزت موضوعات مثل تطوير نظم الكتابة ، والتخطيط اللغوى على خارطة البحث اللغوى ، وعنى فيرث بتدريس مقررات فى علم الاجتماع اللغوى Sociology of Language فى العقد الثالث من القرن العشرين قبل أن يلتفت إليه

---

(1) Butler, Ch.S. (1985) p.1-2

(2) Ibid, P. 2.

(٣) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٧ـ٢٢٨.

- Butler, Ch .S.(1985)P.2.

الأمريكيون بوقت طويل.[١]

ولما كان الاهتمام فى مدرسة لندن حتى ذلك الحين منصبا على الدرس الصوتى كان من الطبيعى أن يولى فيرث هذا الجانب جلّ اهتمامه ، وقد انصب اهتمامه على علم وظائف الأصوات ، وكان من أهم ما وصل إليه أن النظام الصوتى فى أية لغة يتألف من عدة نظم polysystemic ، وهى نظم من الاختيارات التبادلية التى يحجب بعضها بعضاً mutuallay exclussive ، وهى أيضا نظم من المعنى ، وهو يرى أن هناك تلازماً بين الصوت والمعنى ؛ إذ كل اختيار لصوت إنما هو اختيار لمعنى ، وقد شجع هذا أعضاء المدرسة على توجيه قسم كبير من اهتمامهم إلى دراسة التنغيم intonation من حيث هو مجال من مجالات الفونولوجيا يسهل فيه الدفاع عن التلازم بين الصوت والمعنى، وقد حققوا فى دراسة التنغيم ما لم يحققه الأمريكيون مهما كان انتماؤهم.[٢]

ولعلّ أكثر الجوانب تميزا فى عمل فيرث هى الفونولوجيا التطريزية prosodic phonology التى عرضت أول عرض منظم سنة ١٩٤٨ م ، ثم طورت عند التطبيق على عدد من اللغات ـ ومنها العربية – فى العقد التالى.[٣] والتحليل التطريزى عنده يقوم على

(١) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٢٨.

(٢) السابق ص ٢٣٦- ٢٣٧، ٢٤٢.

(٣) روبنز : موجز تاريخ علم اللغة ص ٣٥٥ وانظر بحث فيرث Sounds and Prosodies الذى نشر أول مرة سنة ١٩٤٨ فى Transaction of the philological Society, 127-152.

عنصرين أساسيين يختلف بهما اختلافاً بينا عن التحليل الفونيمـــي فـــى المدرسة الأمريكية.

أحدهما : الوحدات الفونيماتيـــة phonematic units : وهـــى وحدات فونولوجية ترتب الأصوات فيها على أساس مـا بينها من علاقات قائمة على التعاقب successivity.

والثانى : المعلم التطريزى prosody : وهو يتجـــاوز حـدود المقطع الواحد والكلمة الواحدة ليشمل الجملة أو القول ، ومن أنواعه النبر ، والتنغيم ، والوقـــف، والجـــهارة، والإيقاع ، والطول ، والسرعة ، ويشمل أيضاً بعـــض المعالم الثانوية كالتشـــفيه liprounding ، والتـــأنيف nasalization. وهذان الاختلافان قد يجمعهما القـــول بأن النموذج الفونيمى أحادى البعـــد unidimentional أو وحيد النظـــام monosystemic ، أمـــا النمـــوذج التطريزى فهو ثنائى البعـــد two- dimentional أو متعدد النظم polysystemic.[1]

---

(1)Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979) P . 231
- Robins, R.H. (1980) P. 152
- Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975 S.56f.

كمال بشر: التفكير اللغوى بين القديم والجديد. مكتبة الشباب (القـــاهرة د.ت) ص١٣٥-١٣٦.

ودراسة اللغة عند فيرث تقوم على محورين : تركيبى syntagmatic أو أفقى horisonal وجدولى paradigmatic أو رأسى vertical ، فعلى المحور الأفقى تؤلف العناصر اللغوية تراكيب structures ، وعلى المحور الرأسى ترتب العناصر فى أنظمة systems . [١]

وقد استخدم فيرث مصطلح التركيب استخداماً متماسكا فى أعماله كلها[٢] وهو عنده علاقة تبادلية بين العناصر اللغوية فى نص أو جزء من نص[٣] ويتجلىّ على المستويين المعجمى والنحوى فى ظاهرتين بارزتين هما : التلازم collocation والتوارد collogation ، فالتلازم يقوم على علاقة دلالية بين الكلمات ، والتوارد يقوم على علاقة نحوية بين العناصر اللغوية[٤] فالتوارد يختلف عن التلازم فى أنه علاقة تبادلية بين الفصائل النحوية كالأداة والاسم والفعل والظرف ... الخ وتواردها عنده جزء من معناها النحوى. [٥]

---

(1)Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London-New York..

(2)Butler, Ch. S . (1985) P. 7

(3)Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant . P .103 .

(4)Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press . P . 196

(5)Butler, Ch. S . (1985) P. 8

- De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman p. 252 f.

واستخدم أيضا مصطلح " نظام " في أبحاثه المبكرة (في العقد الثالث من القرن العشرين) استخداماً موسّعاً قياساً على أنظمة السلوك الاجتماعي والفردي ثم استخدمه في أبحاثه المتأخرة دالاً على مجموعة متعددة من الاختيارات في سياق محدد،[1] كما استخدم أيضاً مصطلح systemic دالاً على الوصف النظامي للظواهر اللغوية، وهو المصطلح الذي جعل منه هاليداي في نحو سنة ١٩٦٦ وصفاً لنظريته اللغوية التي عرفت بالنحو النظامي Systemic Grammar أو علم اللغة النظامي Systemic Linguistics.[2]

وقد حاول فيرث جاهداً أن يضبط مفهوم النظام فرأى أن معنى كل نظام تحدده العلاقات بين العناصر التي يتكون منها النظام ، فمعنى الرفع مثلاً في نظام ذي أربع حالات إعرابية يختلف قطعاً عنه في نظام ذي حالتين إعرابيتين أو أربع عشرة حالة ، والمفرد في نظام للعدد ذي نوعين : مفرد وجمع له معنى نحوي يختلف عنه في نظام ثلاثي : مفرد ومثنى وجمع أو رباعي كما في اللغة الفيجية Fijian التي تفرق بين المفرد والمثنى وجمع القلة وجمع الكثرة. ومعنى الاسم في نظام ذي ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف يختلف عن معنى الاسم في نظام ذي خمسة أقسام تتميز فيه الصفة والضمير عن الاسم والفعل والحرف.[3]

---

(1)Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London P . xiii.

(2) Butler, Ch . S . (1985) P . 6.

(3) Firth, J. R . (1957) P . 227.

وقد لحظ بالمر أن هذه النظرة تكشف عن توجه سوسيري قوى برغم رفضه الظاهرى لدى سوسير.[1] على أنه يختلف عن دي سوسير فى أنه يرى اللغة عدداً ضخماً من الأنظمة تعمل معاً، وأن تعدد الأنظمة هذا هو الذى يناسب تشعب الظاهرة اللغوية وتراكبها ، وهو لذلك يرى أن من غير الممكن وصف اللغة كلها بضربة واحدة قاضية ، ولكن الوصف اللغوى يجب أن يجرى - على الأقل فى مراحله الأولى ـ على ما يسمى اللغات المقيدة restricted languages كاللغات المختصة بالعلوم ، والرياضة ، والدعاية والعناوين ، وكتابات المؤلف الواحد ... الخ.[2] أما دى سوسير فهو على أن اللغة نظام واحد ضخم تمثل ظواهر اللغة فيه أجزاء فى نسق كلى واحد.[3]

وهو يختلف مع دى سوسير أيضا فى وجوب التفرقة بين اللغة langue والكلام parole ، ويرى فيرث أن القول بذلك يقتضى القول بثنائية الإنسان نفسه ، لأنه إن يكن مكوناً من جسد وروح فليس من الممكن فصل أى منهما عن الآخر ، فكذلك لغته[4]وهو كذلك يرى أن

---

(1) palmer , F . R (1968) P . 7

- Kress , G . (1976) P . xi

(2)Malmkjær ,K (1991) P385.

- Butler . Ch . S . (1985) P . 5

(٣)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد . المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة ١٩٩٦) ص ١٩٤.

(٤) كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد مكتبة الشباب (القاهرة د . ت) ص ١٣٢.

للغة مظهرين : منطوقاً تسمعه الأذن ومكتوبا تراه العين ، وكلاهما حقيق بالدراسة. (١)

وقد كان لالتقاء فيرث ببرونسلاف مالينوفسكى (١٨٨٤ ــ ١٩٤٢م) في العقد الثالث من القرن العشرين أثر كبير في صياغة نظريته اللغوية(٢) فقد كان مالينوفسكي أستاذاً لعلم الإنسان (الأنثربولوجيا) في مدرسة لندن للاقتصاد ، وبقدر ما كان مالينوفسكى أنثروبولوجيا كبيرا كان لغويا فطريا موهوباً أتاحت له أبحاث الميدانية في مجموعة من جزر جنوب الباسيفيك تعرف بجزر التروبرياند Trobriand أن يعايش أهل هذه الجزر ، وأن يجيد لغتهم ، وهم قوم بدائيون يعيشون على صيد الأسماك ، وإنشاء الحدائق ، وتسمى لغتهم كيريونيان ، وقد قام الرجل بعمله الميداني كله بين شعب هذه الجزر مستخدماً لغتهم ، لكنه واجه مشكلة كيف يشرح أفكاره للقراء الناطقين بالإنجليزية ، وكيف ينقل إلى الإنجليزية النصوص الكثيرة التي جمعها من هذه اللغة على نحو واضح جلي لا لبس فيه ولا غموض ، في حين أن الثقافة التي درسها تختلف كل الاختلاف عن تلك الثقافة التي يألفها الغربيون،(٣) فحاول أولاً أن يقدم ترجمة حرة واضحة مفهومة، لكنه وجدها لا تعبر عن شئ من لغة هؤلاء ولا ثقافتهم ، ثم عاد فقدم ثانيا ترجمة حرفية literal تلتزم الأصل ، فجاءت غامضة غير مفهومة

---

(1)De Beaugrande, R. (1991) p.211.

(2)Butler, Ch. S. (1985) p. 2.

(3)Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social- semiotic Persective. Oxford.P.5 f

عند القارئ الإنجليزي ، فعمد إلى حلّ الإشكال بتزويد النص المـــترجم بتعليقات مفصّلة ليست كالتعليقات التى يضعـــها فقـــهاء اللغـــة حيـــن يترجمون نصا قديما مكتوبا ، بل كانت تعليقات تضع النص فى بيئتـــه الحية.[1]

وحتى ذلك الحين كانت كلمـــة ســـياق context تعنـــى النـــص المصاحب con – text أي الكلمات والجمل التى تـــــرد قبـــل جملـــة معينة، تكون محور الاهتمام ، أوبعدها ، فأحس مالينوفســـكى بالحاجـــة ملحة إلى مصطلح يشمل السياق اللغوى الملفوظ ، ويشمل أيضاً الموقف أو السياق غير اللغوى الذى قيل فيـــه النـــص، فصاغ فـــى بحث لـــه ســـنة ١٩٢٣ مصطلـــح ســـياق الحال context of situation ، لكنه عاد فرأى أن ذلك غير كافٍ ، ولا بدّ من إيضاح لما وراء ذلـــك مـــن جوانب ثقافية، إذ ظهر له أن لهذه الجوانب دورا لا يســـتهان بـــه فـــى إيضاح المعنى، فأضاف إلى سياق الحال مفهوماً آخر أسماه سياق الثقافة context of culture، وعدهما كليهما لازمين لفهم صحيح للنص.[2]

وقد لحظ مالينوفسكى أيضاً أن الكلام فى لغة هؤلاء ليس مجـــرد قول ، بل هو فعل أيضاً يقارن اللفظ فى الوجود ، فالصرخـــــة التـــى تعلن عن وجود كمية من الأسماك تعنى إعادة تنظيم جميـــع حركـــات القوارب من جديد ، فالكلمات أدوات ، ومعنى الأداة هو استعمالها. وقـــد استطاع فتجنشتاين أن يحقق شهرة واسعة بإعادة صياغة هذه الفكرة بعد

---

(1)Ibid , P . 6

(2)Ibid . P 7 f

مالينوفسكي بوقت طويل[1] وأخذها عنه أوستن لتكون منطلقاً لوضع نظرية الفعل الكلامى speech act theory وكان ذلك فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة أكسفورد فى العقد الثالث من القرن العشرين ، ثم فى المحاضرات التى ألقاها فى جامعة هارفارد ونشرت بعد وفاته فى كتاب عنوانه : How to do things with words (سنة ١٩٦٢)[2]

على أن الرجل حين بين ضرورة الوقوف على سياق الحال وسياق الثقافة لإيضاح المعنى ، أو نقله من لغة ذات ثقافة إلى لغة ذات ثقافة أخرى كان يعتقد فى البداية أنك لا تحتاج إلى ذلك إلا إذا كنت تدرس لغة بدائية primitive ، أى لغة ليس لها ثقافة مدونة ، لكنك لا تحتاج إليه لوصف لغة ذات حضارة كبرى ، لكنه بعد مضى نحو عشر سنوات اعترف فى شجاعة بأنه كان مخطئاً ، وأن الوقوف على سياق الحال وسياق الثقافة لازم لفهم الإنجليزية ، أو أية لغة ذات حضارة ، لزومه لفهم أية لغة بدائية ، غاية ما فى الأمر أن سياق الثقافة فى كل منهما يختلف عن الآخر . فالقول بأن أية لغة ينبغى أن تفهم فى إطار سياق الحال وسياق الثقافة اللذين تستخدم فيهما قول صحيح ينطبق على اللغات فى كل مجتمع ، وفى أية مرحلة من مراحل التطور.[3]

---

(١)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨.

(2)Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction Combridg University Press . P 236

- جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٨

(3)Halliday , M. A . K . and Hassn , R . (1990) P . 7 f

- جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٣٩.

وقد خلص مالينوفسكى من ذلك كله إلى أنّ اللغة ليست ذاتية النظام ، إذ لا يمكن الوصول إلى المعنى بالاعتماد على عناصرها الذاتية فحسب ، و إنما هى تعتمد اعتماداً تاما على المجتمع الذى تستخدم فيه ؛ إذ هى تستخدم لتحقيق وظائف معينة ذات خصائص محددة فى مواقف اجتماعية بعينها. (١)

وبناء على ذلك جاء تعريفه للمعنى بأنه " وظيفة فى السياق " function in context " ، وهو ما صاغه فتجنشاتاين من بعد فى قولته المشهورة : " المعنى هو الاستعمال " Meaning is use ".(٢)

وهذه الوظائف عنده هى: (٣)

١ - الوظيفة التداولية : pragmatic : حين تكون اللغة شكلا من أشكال الفعل أو الحدث.

٢ - الوظيفة السحرية : magical : حين تكون اللغة وسيلة للتحكم فى البيئة.

٣ـ الوظيفة الروائية : narrative : حين تكون اللغة مخزناً للمعلومات من خلال أرصدتها المحفوظة عبر التاريخ.

---

(1)Kress , G . (1976) P . viii

(2)Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2 P.727.

- Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press. P. 227

(3) Kress, G. (1976) P. viii

لقد وقف فيرث على ما قدمه مالينوفسكي من نظرات فى دراسة اللغة ، واستطاع أن يستثمرها فى وضع نظريته اللغوية ، وكان أهم ما أفاد منه تصور مالينوفسكي لسياق الحال. على أنه نظر فوجد الهدف منه عند مالينوفسكي لا يتعدى إيضاح المعنى وتفسيره فى حالات معينة من استعمال اللغة ؛ إذ كان معنيا بدراسة نصوص معينة ، ولم يكن مهتما بإحكام نظرية لغوية ، بل كان إسهامه اللغوى بالمعنى الاصطلاحى يتمثل فى تعليقات متفرقة مبثوثة فى تحليلاته الاثنوجرافية (=العرقية). [١] أما فيرث فكان فى حاجة إلى تصور لسياق الحال يبنى عليه نظرية لغوية خاصة بحيث يكون أشد تجريداً ، وأوسع تطبيقا ، فاستطاع أن يطور هذا المفهوم ليصبح جزءاً من نظرية لغوية عامة. [٢]

ولم يكن الإطار الذى وضعه فيرث سنة ١٩٥٠ لوصف سياق الحال أشبه بعرض بالفيديو للشخوص والأصوات التى تلابس الحدث ، على نحو ما كان عند مالينوفسكي، بل كان بنية نموذجية مجردة يجرى عليها ما يتكرر من وقائع الاستخدام. [٣]

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) P.4

(2)Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P. 8.

(3)Ibid, P.7.

وتتألف هذه البنية من العناصر الآتية :[١]

١ -المشاركون participants في الموقف ، ودور كل منهم فيه.

٢ - الحدث الذى يقوم به المشاركون ، وهو يشمل الحدث اللفظى verbal action وغير اللفظى non – verbal action.

٣-العناصر الأخرى ذات الصلة بالموقف كالبيئة التى يجرى فيها.

٤-النتائج أو الآثار المترتبة على ما يقوله المشاركون فى الموقف.

ويذكر هاليداي أن أفضل تطبيق لهذا التصور قام به زميل لفيرث هو : ت ٠ ف ميتشل T.F. Mitchell الذى كان أستاذاً لعلم اللغة أيضا فى ليدز ، فقد درس ميتشل " لغة البيع والشراء " التى يتعامل بها الناس فى المحلات والأسواق والمزادات فى شمال أفريقيا ، وكانت اللغة المدروسة هى اللغة العربية ٠ وقد استطاع ميتشل أن يطبق تطبيقا جيداً مفهوم فيرث لسياق الحال ، ومنذ ذلك الحين توالت المختصرات والمداخل التى يحاول فيها اللغويون دراسة السياق الخاص بنص من النصوص، ولعل أشهرها ما قام به عالم الأنثروبولجيا الأمريكى ديل هايمز Dell Hymes فى بحث له عن علم أعراق الاتصال ethnography of communication (١٩٦٧) فقد اقترح مجموعة من المفاهيم لوصف سياق الحال تماثل ما عند فيرث من جهات عديدة.[٢]

---

(1) Butler . Ch.S. (1985) P . 4-5.

(2)Halliday , M .A . K . & Hassan , R . (1990) P . 8 .

على أن عناية فيرث اللغوى بسياق الحال لم تجعله يهمل سـيـاق المقال فذهب إلى أبعد مما انتهت إليه جهود مالينوفسكى الأنثروبولوجية والعرقية ، فرأى أن العناصر النحوية لها وظيفة فى السياقات النحوية ، والعناصر المعجمية لها وظيفة فى السـياقات المعجميـة ، والعنـاصر الفونولوجية لها وظيفة فى السياقات الفونولوجية ، وهى كلها لا بـدّ أن تكون موصولة بمادة نصية محددة. [١] وهو بهذا يقترب اقتراباً شديداً من مفهوم التوزيع distribution فى البنيوية الأمريكية من دون أن يعنـى هذا اهتماماً باللغة بوصفها نظاماً شكليا كما هى الحال عند البنيويين ، بل اللغة عنده جزء من النشاط الاجتماعى. [٢]

وقد بنى فيرث على مفهومه للسياق مفهومه للمعنـى ، فـالمعنى عنده هو الوظيفة فى السياق حالاً ومقالا ؛ فالعبارة أو جـزء منـها لا تكـون عنـده ذات معنـى إلا إذا اسـتعملت علـى نحـو ملائـم فى سياق صحيح[٣] وقـد ذكر فيرث مثالاً من اللغة الإنجليزيـة هـو "say when " (قل : متى) فهذا القول يفهم بطرائق متعددة بناءً علـى السياقات التى يقال فيها ، وليس من الممكن تحديد معناه إلا فى إطـار سياق محدد . [٤]

---

(1)Bulter, ch.S. (1985) P.5

(2)Helbig, G. (1981) S.110.
Firth, J.R. (1957) P. 181.

(3) Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman., P. 290.

(4)Firth. J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964) P.110.

لقــد استبعد فيرث التفسير العقلى للمعنى الذى جاء بـــه أوجــدن وريتشاردز من حيث هو علاقة بين الأشياء والرموز ، ورأى المعنـــى تحدده العلاقة بين المواقف وتوزيــع العناصر اللغوية ، ولذلك يجــب أن يفهم على أنه علاقة سياقية • إنه يســوى بيــن المعنـــى meaning والوظيفة function فكلاهما استعمال صيغة لغويـــة فى علاقة سياقية، أو همـــا مركب من العلاقات السياقيـــة a complex of contextual relations ، وهو بذلك مصطلح جامع لكل الوظائف التركيبيـــة التـــى تقوم بها اللغة، وهو بهذا يتجنب كل التفسيرات العقلية ، وما يتصل بــها من مفاهيم كاللغة والفكــر ، والدال والمدلول ، واللفـــظ والمعنـــى. [1] ومن هنا كان مفهـــوم المعنى بوصفه وظيفة فى السياق يمثل وجهـــة نظر فيرث الأساســـية للغة ، وقـــد عبر عن ذلك فى بحث كتبه ســـنة ١٩٣٥ قائلا : " علم اللغة كله دراســـة للمعنى ، والمعنى كله وظيفـــة فـــى السياق".[2] ولهـــذا وصـــف مـــثال سابـــير : قـــتل الفـــلاح فـــرخ البـــط The farmer killed the duckling بأنـــه " هـــراء " لأنه عجز عن تصور سياق مناسب قيل فيه.[3]لقد كان المعنـــى عنـــد فيرث حجر الزاوية فى النظرية النحويـــة ، وكان يرى أنَّ عمل اللغوى ينبغى أن ينصب كله على المعنى ، ولهذا لم يكن يرى سبباً لتخصيـــص مستوى من مستويات الدرس لعلم الدلالة. [1]

---

(1)Helbig, G. (1981) S.111.

- De Beaugrande, R. (1991) P.203

- كمال بشر : التفكير اللغوى ص ١٣٤.

(2)Hallidan, M.A.K. & Hasan, R. (1985) P.8.

(3) Firth, J.R. (1957) P. 24

من مستويات الدرس لعلم الدلالة. [1]

وقد ووجه فيرث ، وهو يسعى إلى تطوير منـــهج للبحـــث يمـدّ الباحث بوصف متماسك للغة ، ببعض المشكلات ، لعل أهمها[2]:

١ - إذا كان معنى العناصر اللغوية يعتمد على السياق الثقــافى culture context فإننا فى حاجة إلى تأسيس عـــدد مــن الفصائل تربط المادة اللغوية بالسياق الثقافى.

٢ - ينبغى أن يكون تحديد المعنى بأنه وظيفة فى السياق قائمـــاً على أساس شكلى formal حتى يكون مبدأ يصح العمل بــه على امتداد النظرية.

٣ - ينبغى أن تضمن النظرية اطراد الوصف ، وعليها أن تتيــح للباحث عقد صله بين وظائف الوحدات الصغرى فى السياق ووظائف الوحدات الكبرى.

وقد حاول فيرث أن يحلّ هذه المشكلات بصياغة مفهوم الجـــدول paradigm الذى يضم أنماط الصيغ التى تكون عليها الكلمـــات فــى النظام النحوى ، ومفهوم الضميمـــة syntagm التـــى تـــتركب مــن عنصرين أو عــدد من العناصر اللغويـــة لها معنى تركيبى ، فضــــلاً

---

(1) Kress, G. (1976) P. xiv

(2) Ibid, P. xi.

عن مفهوم التركيب structure . [١]

وقد لفت فيرث إلى أنّ كثيراً من اللغويين قد يتفقون على الطرائق التى تستخدم فى وصف البنية الظاهرة للغة ، لكنهم لا يتفقون أبداً على وصف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وهذا يعنى أنه لا اللغويون ولا علماء الاجتماع حاولوا الربط بين وصف الوحدات اللغوية ووصف الوحدات الثقافية والاجتماعية ، وتأسيس الفصائل التى يتحقق بها هذا الربط • وكان قد أحس بهذه المشكلة فى مرحلة مبكرة من حياته العلمية ، وألمح إليها إلماحاً فى بحثه المهم: تقنية علم الدلالة Technique of semantics سنة ١٩٣٥ ، وظل يفكر فى حلّ لها حتى وضع الإطار الذى أشرنا إليه لوصف سياق الحال. [٢]

لقد كان الربط بين اللغة والسياقين الثقافى والاجتماعى اللذين تستخدم فيهما اللغة مستحيلا فى نظره إلا إذا رأينا السلوك اللغوى شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعى ، من ثم فإن كل النظريات الشكلية التى ترى اللغة نظاما ذاتيا مستقلا self contained system عاجزة فى نظره عن القيام بهذه المهمة. [٣]

وعلى الرغم مما قدمه فيرث من تطوير للبحث اللغوى تمثل فى جانبين لا يزالان يرتبطان باسمه حتى الآن هما النظرية السياقية

---

(1)Ibid, xi

(2)Ibid , xii

(3)Ibid , xii f .

للمعنى، والتحليل التطريزى[1] فقد تعرضت نظريته اللغوية للتجاهل والنقد ، إذ تجاهلها اللغويون فى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة تجاهلاً كبيراً ، بالرغم من أنهم أفادوا من بعض جوانبها إفادة محققة ، ويكفى أنهم اخترعوا التحليل التطريزى من جديد واضعين له مصطلح الفونولوجيا القطعية الذاتية autosegmental phonology من دون إشارة إلى مصدرها الأصلى وهو فيرث[2]

وقد أخذ الباحثون على فيرث مأخذين جوهريين:[3]

أحدهما : أن فيرث لم يقدم نظرية متكاملة ، ولم يشرح أفكاره شرحاً منظما واضحاً ؛ فمعالجته النظرية لا تظهر إطلاقا فى نموذج متكامل ، بل هى مسائل معزولة، لا تظهر الروابط الجامعة بينها ، ولا العلاقة التى تحكمها.

الثانى: أن فيرث لم يقدم منظومة من المصطلحات أو الفصائل تتحدد بها جوانب نظريته ، بل إنه لم يحدد مصطلح " الوظيفة فى السياق " الذى أخذه عن مالينوفسكى ، فلم يبين السياقات التى تستخدم فيها العناصر اللغوية ، ولا كيف يكون كل منها ذا صلة بالآخر.

---

(1)Lyons , J . (1966) P . 288

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ٢٧٧

- Butler , Ch . S . (1985) P . 12 f

(3) Kress, G. (1976) P. XV.

وكان أكثر ما وجه إليه من نقد بعد ذلك منصبا علـــى مفهومـــه للمعنى . وقد أفرد ليونز بحثا جعل عنوانه : نظرية المعنى عند فيرث . نشره سنة ١٩٦٦ وقدم فيه نقداً مفصلاً لهذا المفهوم عند فيرث.[١] ويبدو أنّ أهداف فيرث من البحث الدلالى تختلف اختلافاً بينـــا عـــن أهـــداف البحث الدلالى عند ليونز ، ولا أدل على ذلك من أنّ ليونز حاول فـــى مؤلفاته الخاصة بعلم الدلالة البنيوى تجنب بحث التنوعات السياقية مـــع تسليمه بأهميتها ، أما فيرث فكان الهدف الأساسى عنده هو بحث العلاقة بين اللغة والسياق الذى تستخدم فيه. ومن المؤكد أن نظرية فيرث لفتت الأنظار إلى أثر العلاقات الأفقية syntagmatic relations فى المعنى، وبخاصة فيما يتصل بالتلازم collocation على نحـــو لـــم يســـتطع الباحثون فى علم الدلالة البنيوى القيام به.[٢]

على أن التقدير المتوازن لعمل فيرث يقتضى أن نميز كثيراً مـــن أفكاره على أنها ردّ فعل للاتجاه ذى النظام الواحد عند السوســـريين ، وبعض النظريات التى تقصى المعنى عند البنويين الأمريكيين ، لكننـــا فى الوقت نفسه لابدّ أن نسلم بما شاب عمل فيرث من فقدان الوضـــوح والتماسك.[٣] ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى وضع إطار نظرى واضح ومتماسك لأفكار فيرث ، فعزم واحد من أنجب تلاميذه هو هاليداي على أن يقوم بما لم يقم به فيرث ، فشرع فى نشر أبحاث متتابعة منذ ســـنة ١٩٦١ حاول أن يقدم فيها إطاراً واضحاً ومتماسكا لنظرية فى التحليـــل

---

(1)Lyons, J. (1966) P. 288 ff

(2)Butler. Ch.s (1985) P 10

(3)Malmkjær. k (1991) P 385

اللغوى تقوم على أفكـــار فيرث كما فهمها عنه ،[1] ثــم تطويرهـــــا والبناء عليها ، ومازال بها حتى أصبحت نظرية خاصة به كما يتضـــح ذلك إن شاء الله فى الباب الثانى من هذا البحث .

ولعلّ أهم ما أفاده هاليداي من فيرث ومالينوفســكى ، واســتثمرهُ فى وضع نظرية لغوية محكمة مايأتى :

١ - استثمر هاليداي ما قام به فيرث من تهيئة المكونات اللغويـة linguistic components لتتــلاءم مــع المكونــــــات الاجتماعية والثقافية ، فأفاد على وجـــه الخصــوص مـــن مفهومين أساسيين هما : سياق الحال ، والنظام.[2] وقد طور هاليداي المفهوم الأول وأحكمه ، وجعل الثـــانى الفصيلـة الأساسية فى نظريته اللغوية ، بل توصف به النظرية كلـــها كما سيأتى.

٢ - تبى هاليداى وجه نظر فيرث التى تقوم على تعدد الأنظمـــة polysytematicism لتفسير تشعب الظاهرة اللغوية .

٣ - أفاد هاليداي مما قدمه فيرث عن التلازم collocation فـــى تصوره للمعجم lexis، [3] ومما قدمه فيرث عـــن التـــوارد colligation فى تصوره عن النظام وشبكات الأنظمة .

---

(1)Robins, R.H. (1980) P. 282

(2)Kress, G. (1976) P.xiv

(3)Ibid P. xiv.

٤ – تبنى هاليداي مفهوم كل من مالينوفسكى وفيرث عن "المعنى وظيفة فى السياق " فرأى أن المعنى هو الوظيفة والوظيفة هى الاستخدام ، فاستخدامنا اللغة هو معناها.

٥ – أفاد من الوظائف التى حددها مالينوفسكى للغة ، وثمة صلة نسب وثيقة بين وظائف اللغة عند مالينوفسكى ووظائف اللغة عند هاليداي[١]

٦ – أفاد هاليداى من أفكار مالينوفسكى عن أثر التاريخ العرقى فى التطور اللغوى ، فقد كان مالينوفسكى يرى أن اللغة تتطور استجابة لحاجات المجتمع الذى يستخدم اللغة ، وقد استثمر هاليداى ذلك فى دراسته للغة الطفل فرأى أن دراسة لغة الطفل تعيننا على إدراك المراحل التى تطورت فيها اللغة ذاتها ، فإذا كنا لا نملك عينات حية من هذه المراحل التاريخية للتطور اللغوى فإننا نستطيع أن نجد شاهداً عليها من دراستنا للغة الطفل وكيفية استعماله لها. [٢]

٧ – يلتقى هاليداى مع مالينوفسكى وفيرث فى أنّ اللغة ينبغى أن تدرس بوصفها ظاهرة اجتماعية ، والكشف عن أنماط العلاقات بين النظام اللغوى والتركيب الاجتماعى والثقافى لمستخدميها هو أهم ما ينبغى أن يعنى به الباحثون فى اللغة.

---

(١)انظر الفصل الذى كتبه هاليداي عن وظائف اللغة فى

- Halliday, M.A.K. & Hasan, R. (1991)P. 15-28.

(2)De Beaugrande, R (1991) P. 226.

ولعلّ مما يلفت النظر أن هاليداي لم يستثمر ما قدمه فيرث عن التحليل التطريزى الذى يعده أنصار فيرث ومعارضوه أهمّ إنجازا له.[1]

على أنّ هاليداى لم يقتصر على ما أفاده من مالينوفسكى وفيرث، بل ضمَّ إليهما وورف، وهلمسلف، ومدرسة براغ.

ويعدّ بنيامين لى وورف B.L . Whorf (١٨٩٧ـ١٩٤١) أحد المصادر الأساسية التى استقى منها هاليداي الأفكار التى أقام عليها نظريته اللغوية[2] وكان وورف، وهو تلميذ لإدوارد سابير . E Sapir (١٨٨٤ ـ ١٩٣٩)، لغويا نابهاً ثاقب الفهم للغة، استطاع من خلال دراساته الميدانية للغات الهندية أن يطور أفكار أستاذه، وأن يضع فرضية عرفت باسمهما معاً Sapir- Worf hypothesis وإن كان لوورف النصيب الأوفى منها حتى إن بعض الباحثين يكتفى بأن يطلق عليها فرضية وورف Whorfian hypothesis [3]

وهذه الفرضية تقوم على أساسيين جوهريين :[4]

أحدهما : يسمى الحتمية اللغوية linguistic determinism ،

---

(1)Kress, G. (1976) P.xv

(2)Ibid, P. viii.

(3) MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press P.804.

(٤) محيى الدين محسب (١٩٩٨) اللغة والفكر والعالم. دراسة فى النسبية اللغوية الفرضية والتحقق – لونجمان ص ٢٩.

وهى تعنى أنّ اللغة هى التى تتحكم فى تفكيرنـــا كلـــه ، وتهيمن على رؤيتنــا للعالم ، وتحـــدد طريقـــة إدراكنـــا وسلوكنا من دون وعى منـــا، فالتجربة الإنسانية تتكـــون فيما يرى وفق النسق اللغوى المستعمل فى مجتمع بعينـه ، واللغة عنده تصنيف وترتيب لجوانب هذه التجربة ، فـــإذا أردت أن تستخلص نمطا ثقافيا فى مجتمع مـــا فعليـــك أن تراقب السلـــوك اللغـــوى فيه . من هنا فإن اللغـــة هـــى التى تحدد الفكر ، أو هى الفكر ذاته .

ثانيهما : يسمى النسبية اللغويـــة linguistic relativity ، وهى تعنى أن لكل لغة خصائصها التى تتميز بها عن غيرها ، وهذه الخصائص تنتج خصائص ثقافية تمـيز كل مجتمع عن غيره . مـــن هنا ظهرت الاختلافـات واضحـــة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقـــة الانســـان بالعالم ، فاختلاف الأنظمة اللغوية بين لغة وأخـــرى يؤدى إلـــى إنتـــاج أنمـــاط مختلفـــة مـــن الإدراك ، فاختلاف الأنظمة اللغويـــة بين اللغات ليـــس أمـــراً شكليا يتعلق ببنية النظام اللغـــوى فـــى كل منها ، بل هو فى الحق اختلاف أنظمة ذهنية . من ثـــم كـــان يرى القول بوجود عالميات لغوية زعماً لا سند لها.

وقد كان وورف معنيا بدلالة اللغة ، وكان يرى أن علـــم اللغـــة مهمته الأساسية هى المعنى ، ولعلّ اهتمامه بالمعنى هو الذى نبهه إلـــى

الاختلافات الواضحة بين اللغات فى تجسيدها لعلاقة الإنســـان بالعـــالم المحيط به.[1]

وكان من أهم العناصر التى اشتملت عليها فرضيته ، واستثمرها هاليداي فى وضع نظريته اللغوية ما يأتى:[2]

١ - موقفه من العلاقة بين اللغة والثقافة الذى يتمثل فى أن نمـــط الثقافة عنده مشروط بنمط اللغة ٠

٢ - نظرتـــه إلى اللغـــة بوصفهـــا تجسيـــداً لنظـــام تصـــورى conceptual system وما استتبع ذلك من اهتمام بـــالتمييز بين الصريح أو الظـــاهر overt والضمنـــى أو البـــاطن covert، فالأول ما له ظهور على السطح كفصيلة الجمع مثلاً والثانى ما ليس له ظهور كالسمة حىّ animate٠

٣ - محاولته الواضحة وصف الفصائل اللغوية التى نحتاج إليـــها فى دراســـة ما يسمى بالنحو الباطن deep grammar فـــى لغة من اللغات ٠

وأما هيلمسلف Hjelmslev (١٨٩٩ - ١٩٦٥) ، فقد أسس فـــى الدنمارك هو وبروندال Brondal مدرسة كوبنهاجن عام ١٩٣٣ ، وقـــد عرفت منذ عام ١٩٣٤ بدائرة كوبنهاجن لعلـــم اللغـــة Copenhagen

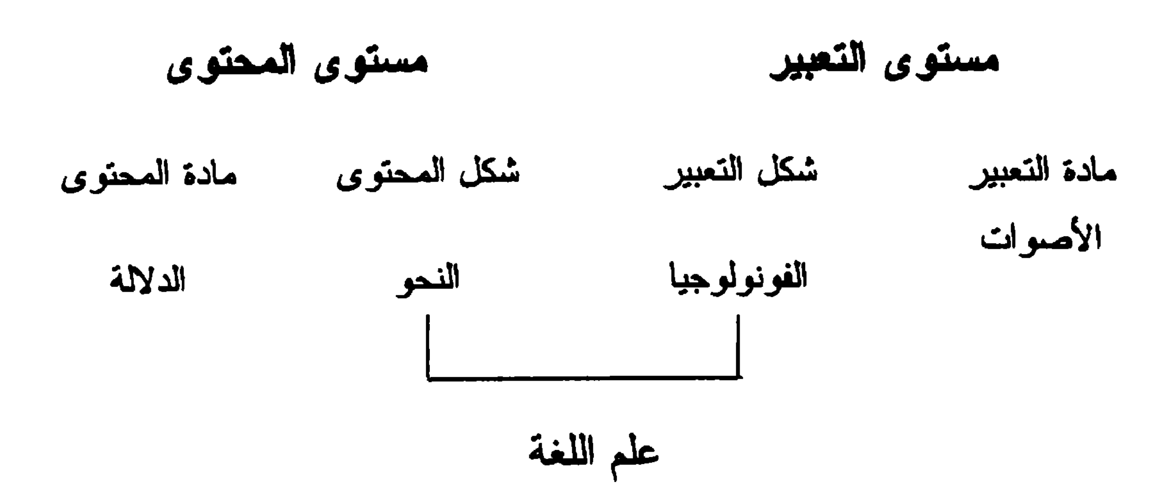
---

(١) السابق ص ٢٧-٢٨.

(2)Kress G. (1976) P.x

Circle of Linguistics ، واكتسبت أهمية عالمية بإصدارها منذ عــام ١٩٣٩ مجلــة Acta Lnguistica التى حملت عنوانــاً فرعيا هــو : المجلــة الدولية لعلم اللغـــة البنيــوى International Review of Structural Linguistics • لكن بروندال لم يلبث أن توفى بعد نحــو ثلاث سنوات فانفرد هيلمسلف بقيادة المدرسة. [١]

وتقوم دراسة اللغة فى هذه المدرسة على مستويين أحدهما يســمى خطة المحتوى content plan والآخر يطلقون عليــه خطــة التعبــير expression plan وفى إطار هذين المستويين فرق هيلمســـلف بيــن الشكل form والمادة substance فنتج عن ذلـــك أربعـــة مســتويات يوضحها التخطيط الآتى :



(١)ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٣١٧ ــ ٣١٨

فمادة التعبير عنده هي المادة الصوتية ، وهي متماثلة في كل اللغات ، وشكل التعبير هو النظام الفونولوجي الخاص بكل لغة • ومادة المحتوى هي وقائع العالم الخارجي ومظاهره وهي متماثلة في كل اللغات ، وشكل المحتوى هو النحو الذي يقوم بتنظيم المادة وترتيبها وتحديد العلاقات بينها في كل لغة.[1]

وقد أطلق هيلمسلف على نظريته اللغوية اسم المنظومية Glossematics وهي تقوم عنده على مستويين اثنين فحسب هما شكل التعبير وشكل المحتوى ، فهي لا تعنى بمادة التعبير وهي الأصوات، بل تعنى بشكله وهو الفونولوجيا، وهي لا تعنى بمادة المحتوى وهي الدلالة، بل بشكل المحتوى وهو النحو • والعلاقة بين شكل التعبير وشكل المعنى تنشأ من خلال قانون الإحلال commutation ، وهو يتحقق حين يطابق تغيير في شكل التعبير تغييراً في شكل المحتوى. ولا ينتمي إلى علم اللغة الحق عند هيلمسلف و أصحابه إلا الفونولوجيا والنحو وعلاقة كل منهما بالآخر • أما علم الأصوات وعلم الدلالة فلا يعدوان أن يكونا علمين مساعدين للعلمين المهتمين بتراكيب اللغة.[1]

ويُعنىَ هيلمسلف بالنظام system الذي يشمل عنده التركيب والوظيفة معاً ، ويرى أنه ليس من الممكن تحديد علاقة لغوية إلا على أساس من علاقاتها بالعلامات اللغوية الأخرى ، أي على أساس موقعها من النظام • من أجل ذلك سميت هذه النظرية أيضاً النظامية

---

(1) Helbig , G – (1981) S . 60 f .

(1) ebenda , S . 61.

.systemology [1]

وقد أفاد هاليداي إفادة محققة من منظومية هيلمسلف أو نظاميته بخاصة فيما يتعلق بمفاهيم المادة ، والشكل ، والنظام ، والعلاقة بين العلامات اللغوية فضلاً عن تصوره لعلم اللغة ، وقد نظر فى كل ذلك وأفاد منه فى وضع نظريته وبخاصة فى مرحلتها الأولى كما سيأتى ٠

وتعدّ مدرسة براغ من المصادر التى أفاد منها هاليداي فى نظريته اللغوية[٢]وقد تميزت هذه المدرسة بأمور نذكر منها ما كان له أثر فى نظرية هاليداي اللغوية٠

الأول : الاتجاه الوظيفى فى دراسة اللغة : فقد حلّل أصحاب هذه المدرسة اللغة بهدف إبراز الوظائف التى تقوم بها مكوناتها البنوية المختلفة فى الاستعمال. على أنهم فى تحليلهم لم يقتصروا على الوصف المجرد ، بل تجاوزوه إلى التفسير ، وقد ميز هذا الاتجاه مدرسة براغ تمييزاً حاداً عن البنيوية الأمريكية والتشومسكية. [٣] لقد نظر علماء مدرسة براغ إلى اللغة كما ينظر المرء إلى " محرك " محاولاً أن يتفهم الوظائف التى تؤديها أجزاؤه المختلفة، وكيف تحدد وظيفة جزء معين وظيفة الأجزاء

---

(1) ebenda , S . 63.

(2)Butler , Ch . S. (1985) P . 4

(٣) جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١٠٥ ــ ١٠٦.

الأخرى.[1] وقد انبثقت هذه النظرة الوظيفية عندهم من الاهتمام بالجانب العملي من اللغة • وكان من أهم ما تمخضت عنه النظرة الوظيفية عندهم دراستهم للجملة من وجهة وظيفية functional Sentence Perspective.[2] وقد رأوا أن توظيف الرموز الكلامية مرتبط بثلاثة مكونات للموقف الكلامي: المتكلم والسامع والأشياء وتتنوع رموز الكلام تبعاً لتنوع هذه المكونات ، وكل تنوع ينتج وظيفة من مكونات اللغة ؛ فتنوع الرمز مع المتكلم ينتج الوظيفة التعبيرية expressive ، ومع السامع ينتج وظيفة المناشدة apeal function ، ومع الأشياء ينتج الوظيفية الاتصالية communicative ، ثم الوظيفة الجمالية التى أولاها البراغيون ما تستحق من اهتمام في حين أهملها اللغويون الأمريكيون، وهى تبرز حين يكون استعمال اللغة موضع اهتمام لذاته لا للوظيفة العملية التي يقوم بها.[3] من هنا كانت اللغة تشمل عندهم المظهر العقلى للشخصية الإنسانية ، كما تشمل المظهر العاطفى.[4]

---

(١) السابق ص ١٠٦.

(٢) أحمد مختار عمر : مدرسة براغ اللغوية، فى: مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت عـ يونيه ١٩٧٧، ص٢٢.

(٣) السابق نفسه ص ٢٢.

(٤)ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩- أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص١٨.

الثانى : تبنى النظرة التركيبية فى دراسة اللغة وتحليلها: فهم يرون أنَّ كل عنصر فى نظام معين تتحدد صفته بالنظر إلى كل العناصر الأخرى فى داخل النظام ، ولا قيمة له إذا أفرد وحده ؛ إنه عندئذ لا يقبل تصنيفاً ولا تحديدا.[1] وقد قادهم اهتمامهم بدراسة اكتساب الطفل اللغة إلى أن الظواهر اللغوية تجرى على نظام، فالأطفال يكتسبون الصوائت الانفجارية قبل الاحتكاكية ، ويميزون الصوائت الأمامية المنبسطة قبل الصوائت الأمامية المستديرة ... الخ.[2]وهم لا ينظرون إلى اللغة على أنها نظام أحادى unitary ، بل على أنها متعددة النظم فى حين كان الوصفيون الأمريكيون يصرون على أنها نظام أحادى.[3]

الثالث : البعد عن الإغراق فى التجريد كما فعل أصحاب المنظومية ، ولم يقتصروا على الوصف الشكلى المجرد دون إشارة إلى المعنى كما فعل بلومفيلد وأصحابه،[4] فاللغة عندهم ظاهرة طبيعية محكومة بعوامل غير لغوية مثل المحيط الاجتماعى والسامعين والموضوع ، ولهذا ميزوا بين التنوعات اللغوية كلغة الصحف اليومية ، ولغة

---

(١) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٣

(٢)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص١٢٦

(٣) السابق ص ١٣٠

(٤) أحمد مختار عمر (١٩٧٧) ص ٢٤

الأعمال الأدبية ، ولغة الشارع ... الخ. كما درســوا دور اللغة فى التباين الاجتماعى فى إطار ما يســمى الوظيفــة الاجتماعية للغة. (١)

الرابع : القول بأن اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة لا تتطابقـــان ، بل لكل منهمـــا خصائصه المميزة ، ولا بدّ مـــن فحــص العلاقة بينهمـــا. (٢)

الخامس : الاعتقـــاد بأن التقابلات الفارقـــــة مؤسســــة علــى مبــدأ الثنائيــة binary أو الازدواجيـــة dichotomy ، فالوحـــدات اللغوية تقع فى تقابلات ذات جهتين إذا وجدت فى إحداهما خاصية فارقة غابت عن الأخرى كمـــا فـــى / t/ و / d/ مثلاً. (٣)

تلك كانت أهم المصادر التى أفاد منها هاليداي ، وهى إفادة تملك لا إفادة نقل ، إذ خلط كل ذلك بفكـــره وتصوره ، ثـــم أخـــرجه للنـــلس خلقـــاً آخر يتمثل فى نظرية لغوية محكمة أصبحت تنسب إليه.

---

(١) السابق ص ١٨ ــ ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٨

(٢) ميلكا إفيتش : اتجاهات البحث اللسانى ص ٢٤٩

(٣)جفرى سامسون : مدارس اللسانيات ص ١١٠ ــ ١١١ .

الفصل الثاني

الأسس المنهجية

على الرغم من أن نظرية هاليداي اللغوية مرت بمراحل ثلاث من التطور فقد ظلت لها ثوابتها ، وهى ثوابت بعضها يتفق مع ثوابت نظريات أخرى معاصرة ، وبعضها يختلف عن هذه النظريات. وغنى عن البيان أن ما تختلف به هذه النظرية عن غيرها هو الذى يميزها ، ويجعل لها شخصيتها التى تعرف بها ، وسماتها التى تتحدد بها. وسوف أعرض فى هذا الفصل إن شاء الله عرضا موجزا لما تتفق فيه هذه النظرية مع غيرها ، ثم أفصل الحديث فى الأسس المنهجية التى تمتاز بها عن غيرها •

أولاً ثوابت الاتفاق :

استطاعت مارجريت بري ــ وهى من أكثر الباحثين استيعاباً لهذه النظرية وقدرة على إيضاح جوانبها ــ أن تحدد الثوابت المنهجية التى يتفق فيها علم اللغة النظامى مع غيره من النظريات اللغوية المعاصرة بما يأتى:[١]

١ - يتفق علم اللغة النظامى مع غيره من المدارس اللغوية المعاصرة فى المسائل اللغوية العامة كدراسة اللغات الطبيعية ، وماهية اللغة ، وكيفية عملها ، والاهتمام بوصف لغات بأعيانها والمقابلة بينها ، ودراسة التنوعات اللغوية varaieties (أى تفرغ اللغة إلى لهجات ، ودراسة لهجة منها أو لغوة (= لهجة

---

(1) Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.P.21 ff.

محلية) أو لغة طائفة اجتماعية معينة ، فضلاً عن الاهتمام بالتطبيق فى مجالات متعددة.

٢ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتبنى الاتجاه الوصفى discriptive فى مقابل الاتجاه المعيارى prescriptive.

٣ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة على أن ثمة مناهج متعددة لدراسة اللغة ، وأن المنهج الذى ينتهجه ليس المنهج الممكن الوحيد ، فهو يقدم رؤية لدراسة اللغة لا تلغى أية رؤية غيرها ، أو تقلل من شأنها .

٤ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يتصف بالتبصُّر insightfullnis والتماسك coherence ، والثبات consistancy والوضوح explicitness .

٥ – علم اللغة النظامى كغيره من المدارس اللغوية المعاصرة يرى أن دراسة اللغة يجب أن تكون مستقلة autonomous على الرغم من ارتباطها بعلوم أخرى كعلم النفس ، والاجتماع ، والأنثروبولوجى، والنقد الأدبى ... الخ. وأنه لابدّ من وضع نموذج Model يمثل الإطار النظرى للبحث عندهم ، ويضعون مصطلحاته ويحددون مفاهيمه، ويجتهدون فى الوصول إلى تحقيق موضوعى لفروضهم.

ولعل أقرب المدارس المعاصرة إلى علم اللغة النظـــامى النحـــو الطبقاتى (= التنضيدى) stratificational grammar (لامــب ١٩٦٦) والقالبية tagmemics (بايك ١٩٦٧) • ولعلّ أبعدهـــا عنـــه النحـــو التحويلى التولـــيدى[١] على الرغـــم مـــن أنّ ثمـــة محـــاولات بذلـــت للتقريـــب بينهمـــا ، فقـــد حاول هدســـون Hudson (فـــى السنوات ١٩٧١ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٦) أن يقرب النحـــو النظـــامى مـــن النحـــو التوليدى، كما أن هناك تشابهـــا ملحوظـــاً بين النحو النظامى وبعـــض نماذج النحو التحويلـــى التوليدى (كما فى نموذج فلمـــور Fillmore, 1968).[٢]

وأما ما يتميز به علم اللغة النظامى من أسس منهجية يختلف بـــها عن غيره فقد أوضح بعضها هاليدى نفسه فى مواضـــع متعـــددة مـــن أبحاثه، وأشار بعض الباحثين إلى بعض آخـــر، ويمكننـــا أن نجمعـــها ونحددها على النحو الآتى:

أولاً دراسة اللغة من وجهة نظر سيمية اجتماعية social – semiotic:

ذكرهاليداي نفسه أنّ دراسة اللغة من هذه الوجهـــة تعـــدّ ملمحـــاً خاصًّا من تفكيره منذ أصبح مهتما بدراسة اللغة[٣]وأخذ يشرح المقصـــود

(1)Ibid , P22 .

(2)Ibid , P22.
Malmkjær , K . : Systemic Grammar , in : Malmkjær, K(ed.) 1991 The Linguistics Encyclopedia . London and New york – P . 451.

(3)Halliday , M . A . K & Hasan , R . (1990) P . 3.

بالدراسة السيمية الاجتماعية.[1]فبدأ بإيضاح المفهوم سيمي semiotic فذكر أنه أخذ فى البداية من مفهوم العلامة Sign و أن الكلمة الحديثة ترجع إلى المصطلحين semainomenon و semainon (الدال signifier والمدلول signified) اللذين استخدما فى الدراسات اللغوية اليونانية القديمة. وقد كان الفلاسفة الرواقيون أول من طور نظرية للعلامة اللغوية فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ، وقد أحكم تصورهم هذا للعلامة اللغوية بعد نحو ألف سنة دى سوسير.

وذكر هاليداي أن السيمية أو علم العلامات يمكن أن يعرف بأنه الدراسة العامة للعلامات ، ونبه إلى أن هذا المفهوم أقرب إلى التصور التفتيتى atomistic؛ إذ كانت هناك نزعة إلى عد العلامة شيئاً معزولاً قائماً بذاته يدرس فى المقام الأول لذاته ومن أجل ذاته قبل أن يصبح ذا علاقة بعلامات أخرى ، حتى إننا نجد هذا التصور التفتيتى عند دى سوسير نفسه، على الرغم من تصوره الواضح للغة على أنها مجموعة من العلاقات set of relationships ولهذا رأى أن يعدل هذا التعريف لعلم العلامات ليصبح دراسة لأنظمة العلامات ، ودراسة أنظمة العلامات عنده هى دراسة للمعنى بمفهومه الأعم.

واللغة عنده جزء من علم العلامات قد تكون أشمل أو أعم من غيرها ، لكن ثمة صيغا أخرى كثيرة للمعنى فى أية ثقافة ، وهى صيغ تخرج عن نطاق اللغة كأشكال الفن من رسم ، ونحت وموسيقا ، ورقص ، وكذلك أشكال اللباس، وتركيب الأسرة، وهلم جرا ، إذ هى

(1)) Ibid , P . 3 f.

كلها حاملات لمعانٍ فى الثقافة. والثقافة عنده مجموعة من أنظمة العلامات semiotic systems بينها جميعا علاقات متبادلة. من هنا اتجه هاليداي إلى دراسة اللغة بوصفها نظاماً بين عدد من أنظمة المعنى التى تكون مجتمعة الثقافة البشرية human culture .

ثم ثنى هاليداي بإيضاح المصطلح " اجتماعى " [1] social ، فذكر أنه يستخدم استخدامين:

أحدهما : بمعنى النظام الاجتماعى الذى يعده مرادفاً للثقافة culture فإذا قيل : هذه دراسة سيمية اجتماعية بهذا المعنى كان المقصود الإشارة إلى نظام اجتماعى ، أو ثقافة ، بوصفه أو بوصفها نظاماً للمعنى system of meaning .

الثانى : أكثر تحديداً ؛ إذ يدل على وجه الخصوص على العلاقات بين اللغة والتركيب الاجتماعى. وقد نصّ على أنه حين يختار دراسة اللغة من الوجهة الاجتماعية لا ينبذ الاتجاهات الأخرى، ولا يقلل من شأنها. قال " الوجهة المفضلة لدراسة اللغة عند بعض علماء اللغة (مثل تشومسكى ١٩٥٧ ولامب ١٩٦٦) هى الوجهة النفسية، وقد تكون عند بعض آخر وجهة جمالية ، أو غير ذلك، لكن الوجهة التى نتبناها أساسا هى الوجهة الاجتماعية ". وهو يرى هذه الوجهة أوفق لما يهتم به من مسائل

---

(1)Ibid , P 4 .

وقضايا فى دراسة اللغة ، وبخاصة القضايا التعليمية ؛ إذ كان البعد الاجتماعى واحداً من الأبعاد التى تجوهلت فى المناقشات الخاصة بما يسمى " اللغة فى التعليم language in eduation " فالتعليم قبل كل شئ عملية اجتماعية تنقل اللغة فيها المعرفة عبر سياقات ومواقف اجتماعية. (١)

وقد كان من بين القضايا الأساسية التى اهتم بها هاليداي الوظائف الاجتماعية للغة، وكيف تقوم اللغة بها ، وكان يرى أننا إذا امتحنا المعانى الكامنة فى اللغة وجدناها تتضمن عدداً ضخماً من الإمكانات يمكن تجميعها فى شبكات من الاختيارات أقل عدداً ، وهذه الشبكات تنسجم مع الوظائف الأساسية للغة. (٢)

من هنا نظر إلى الوظيفة لا بوصفها مرادفاً للاستعمال كما رأى غيره من الباحثين مثل مالينوفسكى ، وبيولر ، وبريتون ، وموريس ، بل بوصفها خاصية جوهرية للغة نفسها ، وشيئاً أساسيا فى تطور نظامها الدلالى. (٣)

---

(1)Ibid , P 4 f

(2)Halliday , M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books . P. 142

(3)Ibid , P 141

ووظائف اللغة عنده هـي[١]

١- الوظيفة الفكرية : ideational :

وتتمثل في التعبير عن المحتوى content ، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلي inner world لوعيه conciousness الخاص.

٢- الوظيفة التبادلية : interpersonal function :

وهي الوظيفة التي تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها من خلال ابتكارها أدواراً اجتماعية تشمل أدوار الاتصال communication roles كالسائل والمجيب مثلاً ، ثم من خلال تبادل الخبرات والمنافع بين شخص وآخر.

٣- الوظيفة النصية textual function :

وهي التي تجعل المتكلم قادراً على بناء النصوص ، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه ، وهي التي تجعل السامع أو القارئ يميز نصا من مجموعة عشوائية من الجمل.

وقد عني هاليداي ببيان كيف تؤثر هذه الوظائف في تركيب الجملة الأساسية في اللغة الإنجليزية. [٢]

---

(1)Ibid . P . 143

(2) Ibid . P . 145 ff.

ثانيا : النحو اختيار :

يقوم النحو عند هاليداي على مفهوم الاختيار ، فـــالمتكلم بلغـــة ما، مثله مثل من يقوم بأي نوع من أنواع السلوك الثقافى أو الاجتماعى ، يختار من بين إمكانات كثيرة تتيحها له الأعراف اللغوية والاجتماعيـة والثقافية السائدة فى مجتمعه. [1]فإذا أراد المتكلم بالإنجليزيـــة مثـــلاً أن يتحدث عن شخص أو أشخاص فقد يختار أن يتحدث عن فـــرد ، وقـــد يختار أن يتحدث عن جماعة ، ونحو الإنجليزية يمكنه من أن يختار بين المفرد والجمع ، وإذا اختار المفرد فقد يريد للحديث أن يكـــون عـــن شخص يتكلم الآن ، أو عن شخص يكلمه الآن، أو عـــن شخص ليـــس حاضراً وقت الكلام ، ونحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بيـــن المتكلـــم والمخاطب والغائب ، وإذا أراد أن يخبر عن حدث وقع أو حدث يقـــع وقت التكلم أو حدث سيقع بعد المتكلم فنحو الإنجليزية يتيح له أن يختار بين الماضى والحاضر والمستقبل فى درجات متفاوتة مـــن القـــرب أو البعد، والاستمرار أو الانقطاع[2]... الخ.

ومن ثم يصبح وصف الجملة أو العبـــارة تحديـــداً للاختيـــارات التى قام بها المتكلم من مجموعة الاختيارات المتاحة له، choices وهو فى الوقت نفسه تحديد لعلاقة ما وقع عليه الاختيار بما لم يقـــع عليـــه الاختيار ، فاختيار جملة مثل : زيد ألقى الكرة له علاقة بجمل أخـــرى

(1)Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976 P . 3

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 P . 143 – 144

وثيقة الصلة بهذه الجملة لكن لم يقع عليها الاختيار مثل ألقى زيد الكرة، الكرة ألقى زيد ، الكرة ألقاها زيد، لا تلق الكرة يـــا زيـــد ، الكـــرة ألقيت... الخ.

فكل جملة منها تختلف عن الأخرى بالنظر إلى اختيارات محـددة، ووصف الجملة لا يعدو أن يكون وصفا لاختيارات تمت فعلا. ففى جملة "ألقى زيد الكرة " يظهر أنّ الصيغة الخبرية هى المختارة، وفـى ذكـر المفعول به دليل على أن تعدية الفعل إلى مفعول به اختيرت ...وهكـذا. وكل عنصر من عناصر هذه الجملة يمثل اختياراً قام به المتكلـم عنـد التخطيط لها. (١)

ويظهر فى الجملة السابقة أنّ بعض الوظائف النحوية قد أدمج فى بعض، فقد أدمجت فى زيد وظيفتا الفاعل actor والمسند إليه subject، لكن هذا ليس أمرا لازما ، ففى قولنا " الكرة ألقيت " يظـهر أن الكـرة مسند إليه وليست فاعلا ، بل هى مفعول به فى المعنى goal ، والمتكلم هو الذى يختار أن يدمج وظيفتين فـى عنصـر لغـوى واحـد أو لا يدمجهما. (٢)

ثالثا : النحو شبكة من الأنظمة :

النظام system واحد من الأسس المنهجية المهمة التى تقوم عليها هذه النظرية، حتى إنها لتنسب إليه نظراً لما له من أهمية بالغـة فـى التصور الأساسى للتحليل النحوى. وقد لفت هاليداي إلى أن مصطلـح

---

(1)Hallidany , M .A.K. (1969), in : Kress , G (1976) P . 4 f.

(2)Ibid , P . 6

نظامـــى systemic ينبغى ألا يلتبس بانتظامى systematic ، فـــالأول يستخدم للدلالة على أن التصور الأساسى للنحو يقوم على النظام، أمـــا الثانى فيستخدم فى علم اللغة غالباً بمفهومه العام المستخدم فى لغة الحياة اليومية وصفا لعلم الأصوات والفونولوجيا.[١]

والتحليل النحوى عند هاليداي يقوم على مجموعة مـــن الأنظمـــة تتضافـــر كلها مكونة شبكات من الأنظمة، وهـــذه الشبكات من الأنظمة هى اللغة ، فاللغة عنده هى نظام أنظمةsystem of systems.[٢]

والنظام شبكة من العلاقات تتمثل فى مجموعـــة محـــددة مـــن الاختيارات يختار منها المتكلم عنـــد كـــل إنتـــاج كلامـــى[٣]، وهـــذه الاختيارات هى فى الأساس اختيارات معان[٤] وأبرز سمة من ســـمات النظام هى أنه مغلق أى يتألف من عناصر محددة يحصرها العدّ ، وهذه هى السمة الفارقة بين النحو grammar والمعجم lexis ، فالنحو يقـــوم على الاختيار من نظام مغلق ، أما المعجم فيقوم على الاختيار من قائمة مفتوحة set. مـــن ثم فإن على النظرية اللغوية أن تعدّ كلا منهما نمطاً

---

(1) Ibid , P . 3

(2)Berry, M(1975) P . 31f

Crystal , D . (1994) : A Dictionary of Linguistics and Phonetics . B . Blackwell - p . 343

(3)Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf . p. 146

(4)Richards, J . C . - platt , J . - platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman . p . 371

مختلفاً عن الآخر ، وأن تقدم لنا نظريتين اثنتيـــن : نظريـــة للنحـــو ، ونظرية للمعجم مع بيان العلاقة بينهما. [١]

على أن اللغة لا تتكون من أنظمة منفصل بعضهـــا عن بعــض ، بل تتشابك وتتداخل مكونة شبكة من نظام أعم يفضى فيه بعض الأنظمة إلى بعض ولا بدَّ من تحديد الموضع الذى يفضى فيه نظام إلى نظـام أو ما يسمى نقطة الدخول point of entry ، ولا يدخل نظام إلى نظام إلا إذا تحقق له شرط الدخول entry condition. [٢]

واختيار عنصر ينتمى إلى نظام معين قد يتوقف علــــى اختيــار عنصر من نظام آخر ، ويكون ذلك بإحدى طريقتين : أولاهما أن تكون الاختيارات بعضها مستقل عــن بعــض فالأنظمـــة عندئـــذ متزامنـــة simaltaneous والثانية أن تكون الاختيارات بعضها معتمد على بعض فتكون الأنظمة متراكبة أو متدرجة ierarchial ،[٣] وسيأتى بيان ذلك.

وشبكة الأنظمة غير محصورة ولا محدودة ، بل هى تتسع وتتعدل بما يضاف إليها من أنظمة إذا تحققت لها شرائط الدخول • مـــن هنـــا أمكن القول إن نحو أية لغة يتمثل فى شبكة كبرى من الأنظمة ترتـــب فيها الاختيارات ترتيبا تزامنيا أو تراكبيا.

---

(1)Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press .P 22,35.

(2) Halliday , M.A.K.(1969) P . 3 f .

(3)Ibid P . 3

- Berry , M. (1975) vol. 1 P . 147

رابعا : العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق :

من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغـــة النظـــامى عنـــد هاليداي العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق. تقول مارجريت برى: " أشدّ ما يتمسك به اللغويون النظاميون منذ أيام علم اللغة الفيرثى ، مــــروراً بنحو المقياس والفصيلة ، حتى أحدث ما توصل إليه علم اللغة النظـامى نفسه هو الاهتمام بالعلاقة بين اللغة والجوانب المتنوعة للســـياق الـــذى تستخدم فيه ".[1] والسياق هو الذى يصف العلاقة بين الصيغ اللغويـــة والوقائع غير اللغوية ، أى يربط المعانى الوظيفية للعنـــاصر اللغويـــة بالمعانى المقامية التى تلابس الحدث اللغوى.[2]

وهذه العلاقة تؤدى بنوعين من المعانى : المعنى الشكلى formal والمعنى السياقى contextual ، فالمعنى الشكلى هـــو العلاقـــة بيـــن العنصر والعناصر اللغوية الأخرى ، هو قدرته علـــى التـــوارد مـــع عناصر أخـــرى والتقابل معها ، وما يمكن أن يتعاقب معه منها ومعنى المعنى بهذا المفهوم بعيد كل البعد عن الاستخدام المعتاد له. والمعنـــى السياقى هو نتاج الربط بين النص والموقف الذى يتجلى فيه أو يكبســـل فيه أى بين نظام وظيفى للغة وبيئة اجتماعية وثقافية تحكم استخدامه.[3]

---

(1)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 133

(2)Halliday , M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar , in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London P.53

- Mindt, D. (1975) S.140, 141

(3)Berry , M. (1977) vol . 2 P . 115

- Mindt , D. (1975) S . 147 f .

ولا يكفى فى تحديد السياق المعنى الشكلى وحده ، ولا المعنى السياقى وحده ، بل لا بدَّ معاً. ومن الأفضل عندهم البدء فى التحليل بالمعنى الشكلى ، ثم الوصول من بعده إلى المعنى السياقى ، فالمعنى السياقى يعتمد منطقيا على المعنى الشكلى ، بعبارة أخرى قبل أن نستطيع وصل اللغة بالموقف - كما كان يريد فيرث - من الضرورى أن نقدم وصفاً دقيقاً للأنظمة اللغوية،[1] وهذه الأنظمة شبكات من العلاقات تتألف منها وتحققها تراكيبها .

ويرى هاليداي أن اللغة لا تفهم إلا إذا كانت فى نصوص، والنصوص لا تفهم إلا إذا كانت فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية، فهو من ثم يرى النص والسياق جانبين لعملية واحدة. فهناك نص، ونص آخر مصاحب له ، هذا النص المصاحب con – text هو السياق[2] وهو لا يمدنا – كما رأى مالينوفسكى من قبل – بمعلومات عما يحدث وقت التكلم فحسب ، بل بالخلفية الاجتماعية والثقافية لكل من المتكلم والسامع، أو التاريخ الاجتماعى والثقافى الكامن وراء حديث كل من المشاركين. [3]على أن السياق عنده ليس محيطا ماديا فحسب ، بل هو بنية سيمية semiotic structure عناصرها الأعراف الاجتماعية والقيم الثقافية المأخوذة من النظام السيمي الذى يكون الثقافة. [4]

---

(1) Halliaday, M.A.K. (1961) ,in Kress, G.(ed) 1976 P. 53.

(2) Halliaday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 5

(3) Ibid , P . 6f

(4) Kress , G. (ed) 1975 P . xxi

- Butler , Ch.S. (1985) P . 64

لقد قام هاليداي بتطوير مفهوم سياق الحال الذى قدمه كـــل مـــن مالينوفسكى وفيرث، فقدم تصوراً رآه أكثر ملاءمـــة لنظريتـــه، وهـــذا التصور يقوم عنده على مفهوم التنبؤ ، وهو كما يقول متصل بحقيقـــة شديدة الأهمية هى أنّ الناس بصفة عامة يفهم بعضهم بعضا برغم مـــا نلحظه فى أحايين كثيرة من إخفاق الاتصال الذى يعدّ مشكلة حقيقية فـــى المجتمعات المعاصرة يسعى المهتمون بالإعلام ووسائل الاتصال إلـــى حلها والحق أنه ينبغى أن ندهش من نجاح الاتصال لا من إخفاقه ، فمـــا هو جدير بالملاحظة هو : كيف يفهم الناس بعضهم بعضا على الرغـــم مما يحيط بهم من ضوضاء ؟ ، وكيف نفسر نجاح الناس فـــى اتصـــال بعضهم ببعض؟[١]

ويذكر هاليداي أن الإجابة المختصرة عن ذلك فيمـــا يـــرى أننـــا نعرف ما سوف يقوله الآخرون، إن لدينا دائما توقعا لما يمكن أن يقال، ولهذا نادرا ما نفاجأ مفاجأة تامة بما يقال، قد نفاجأ مفاجأة جزئية لكنـــها ستكون دائماً فى إطار ما نتوقع حدوثه ، وهذه هى أهـــم ظـــاهرة فـــى الاتصال البشرى. إننا نقوم بالتنبؤ دون وعى ، بطبيعة الحال ، وهذا هو الذى يجعلنا نفهم ما يقال. [٢]

ويرى هاليداي أن ما يهتم به اللغوى هو : كيف نقوم بهذا التنبـــؤ، والخطوة الأولى نحو الإجابة فى رأيه هو أننا نقوم بذلك من خلال سياق الحال. فالسياق الذى يحدث فيه التواصل اللغوى يعطى المشاركين قدراً

---

(1)Halliaday, M.A.K. & Hasan, R. (1990) P . 9

(2)Ibid . P . 9

كبيرا من المعلومات عن المعانى التى يتبادلونها ، وعن المعانى التـــى يمكن أن تتبادل. ونوع الوصف لسياق الحال الذى يلائم اللغوى هو ذلك النوع الذى يجعل السامع قادراً على التنبؤ بالمعانى واســتنباط الكيفيــة التى يتواصل بها الناس. [1]

وقد قدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعةً سياق النـــص، هـــى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخـــرون، وهـــذه الجوانـــب هى: [2]

١ـ المجال field :

والمقصود به موضوع النص ، أى ما يدور حوله الخطاب، أو ما يلتقى المشاركون من أجله مثل تسلق الجبال ، أو موسيقا الكـــورال، أو العناية بالحدائق، أو فسيولوجية الأعصاب، أو صيانة السيارات، أو كرة القدم ...الخ . على أن المراد بمجال الخطاب عنده هو المجال الأصلى، لا ما يتفرع إليه الحديث منه ، فمن الممكن فى مجـــال بيـــع الجرائـــد وشرائها أن نتحدث عن الطقس مثلاً ، لكن المجال الأصلى هـــو بيـــع الجرائد وشرائها .أما الحديث عن الطقـــس فـــهو يمثـــل جـــزءاً مـــن الاستراتيجية الخاصة بهذا المجال.

---

(1)Ibid , P . 10

(2) Halliday , M.A.K.(1978) P. 142 ff , 221 ff

- Halliday , M.A.K.(1990) P. 12 f.
- Butler, Ch..S.(1985) P. 64 f.

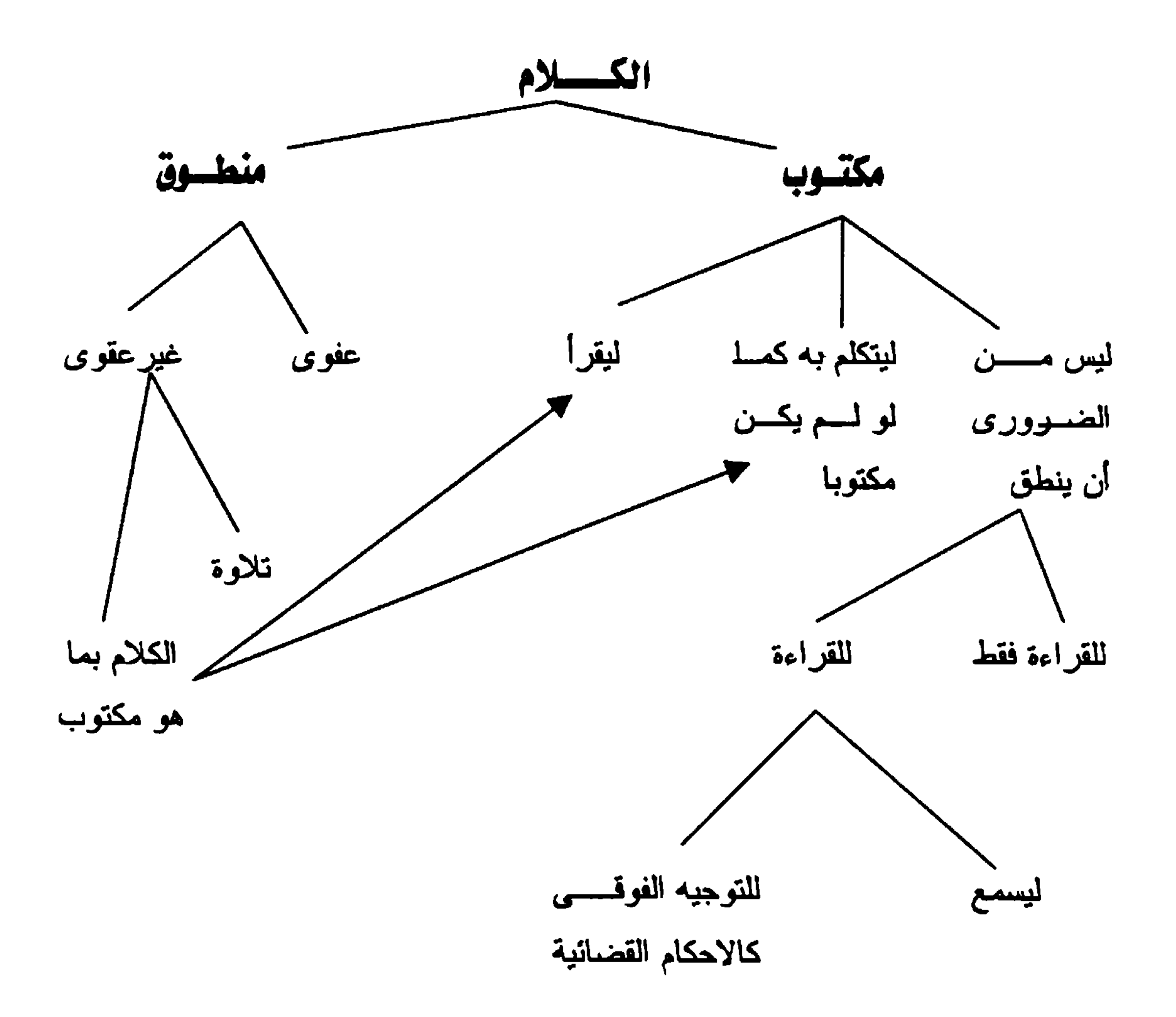
٢ـ نوع المشاركة tenor :

والمراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين فى النص ، فقد تكـــون علاقة رسمية مثل علاقة المدير بالموظف ، أو المالك بالمستأجر ، وقد تكون علاقة حميمة كالعلاقة بين الصديقين أو بين الأم وأبنائـــها، وقـــد تكون محايدة كحديث متجاورين فى قطار مثلاً ، ولكـــل مـــن هـــذه العلاقات درجات.

٣ـ الصيغة : mode :

وهى الوسيلة ، أو قناة الاتصال ، التى يتحقق من خلالها النـــص أهى الكتابة أم النطق ، فالصيغة المنطوقة مثل المونولوج (= الحديـــث المنفرد)، أو الحوار dialogue ، والمكتوبة كـــالبحث المرجعـــى، أو المقال فى جريدة ٠ ولكن ثمة صيغاً تتمثل فيها خصـــائص المنطـــوق والمكتوب معاً مثل الخطبة المكتوبة لتلقـــى، ومثـــل نشـــرة الأخبـــار، والمكتوب كما لو كان منطوقـــا كالحوار فى القصص، والمنطـــوق من مكتوب كقصص الأطفال ، والكلام بما هو مكتوب كما لو لم يكن مكتوباً مثل المسرحية. ويتضح ذلك من الشكل الآتى: [١]

(1)Morey, G. D. (1985) : An Intoduction to Systemic Grammar . Macmillam London P.5



ويدخل فى مفهوم الصيغة الدور المحدد الذى تسهم به الصيغة فيما يجرى فى مجال الخطاب، أهو الإقناع أم التهدئة أم البيع ، أم التحكـم أم الإيضاح، أم هو مجرد لغو يراد به فتح قنوات الاتصال بيـــن النـــاس كالذى أسمـــاه مالينوفسكى اتصال الـــتودد phatic communication كالحديث عن الطقس بين متجاورين فى حديقة عامة أو مطار. (١)

---

(1) Halliday , M.A.K.(1978) P. 223

ويفترض هاليداي أننا إذا قارنا النصوص المختلفة فـــى المجـــال field فإن أغلب الاختلافات المحتملة بينها سوف تركز علـــى أنمـــاط العملية process والمشاركين ، والظروف ، شاملة التمـــيز المعجمـــى للموضوعات ذات الصلـــة، والأشخاص، على حين أننـــا إذا قارنـــا النصوص المختلفة فـــى نوع المشاركة ، فإن الاختلافـــات فى المعنـــى سوف تركز على أدوار الخطاب speech roles، وأساليب التخاطب، والتعبير عن المواقف معجميا وتنغيميا ، وغير ذلك مما يميز الأشخاص المشاركين بعضهم عن بعض ، وإذا قارنا النصـــوص المختلفـــة فـــى الصيغة ، فإن الاختلافات سوف تتمثل فى الموضوع theme، والتماسك cohesion .[1]

ويدلل هاليداي على أن هذه الجوانب هى التى تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون بقوله : تخيل أنك دخلت ، كما نفعل كثيرا فـــى الحياة الواقعية ، إلى موقف كلامى كان قد بدأ فعـــلاً، لا يـــهم الآن أى موقف يكون ، إنك سوف تكون قادراً بأسرع ما يمكن على أن تشـــترك فى الحوار المتبادل ، فيكف تستطيع ذلك؟ إنك تستطيعه ، فيمـــا أرى ، ببنائك نموذجاً فى ذهنك للمقام ، وأن تقوم بذلك على النحو الآتى : إنك تحدد " مجالاً " بملاحظة ما يجرى ، ثـــم تحـــدد " نـــوع المشـــاركة " بالوقوف على العلاقة بين المشاركين ، وتحدد الصيغة بملاحظـــة مـــا يمكن تحقيقه باللغة . إنك تقوم بتنبؤات عن أنواع المعانى التى تتوقـــع أن تكون محور الاهتمام فى هذا الموقف الكلامى الخاص. شئ مثل ذلك

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P.66

فيما أعتقد هو الذى يحدث ، وإلا فمن المستحيل أن نفسر كيف يمكننا أن نشترك بهذه السرعة فى موقف ما لم نكن نعلم عنه من قبل شيئا. (١)

وقد قدم هاليداي تطبيقا لهذه الجوانب السياقية الثلاثة على نصوص متنوعة بعضها شعرى (بيتان من قصيدة بن جونسون إلى سيليا) وبعضها نثرى منه ما يتعلق بنوع من النشاط الاجتماعى القانونى وهو عقد الإيجار، ومنه ما يتعلق بنص دينى (حديث إذاعى دينى لاسقف وولوتش). (٢)

وقد حدد هاليداي فوق ذلك أنماط المعنى السياقى فحصرها فيما يأتى: (٣)

١ـ المعنى التجريبى experiential meaning

وهو المعنى الذى يمدنا بالمعلومات عن إجراءات الموقف المبنية على تجربة المتكلم وخبرته ، وعن المشاركين فيه ، والعلاقات بينهم.

٢ـ المعنى المنطقى logical meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الطريقة التى ترتبط بها السياقات الصغرى داخل السياق الأكبر ٠ والنحو هو الذى يمدنا بمعلومات عن الطريقة التى ترتبط بها المواقف الصغرى مكونة السياق الأكبر.

---

(1)Halliday , M.A.K.& Hasan , R . (1990) P. 28

(2)Ibid , P. 13 f , 18 ff , 26 ff

(3)Ibid , P. 18 ff

- Berry, M. (1977) Vol.2.P.116 ff.

وكلا المعنيين التجربى والمنطقى ينضمان معاً تحـت مصطلح جامع هو المعنى الفكرى ideational meaning .

٣ ـ المعنى التبادلى interpersonal meaning

وهو الذى يمدنا بمعلومات عن الموقف المباشر ، وبخاصة عما يريده المتكلم أو الكاتب من السامع أو القارئ ، وما يتوقعه المتكلم أو الكاتب من سامعه أو قارئه ، فقد يختار العنصر " خبرى " declarative من نظام الصيغة mood ليدل على موقفه الذى يرمى إلى إخبار السامع أو القارئ بشئ ما. إنه يدل على أن المتكلم أو الكاتب لا يتوقع استجابة واضحة من جمهوره. أما إذا اختار العنصر "استفهام" مثلاً فسوف يدل ذلك على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الاستجابة سواء أكانت بكلمات أم بحركات جسمية من السامع أو القارئ. وإذا اختار عنصر " الأمر" فهذا يدل على أن المتكلم أو الكاتب يتوقع نوعاً من الفعل أو الحدث action استجابة لهذا الأمر.

٤ ـ المعنى النصّى textual meaning :

وله وظيفتان :

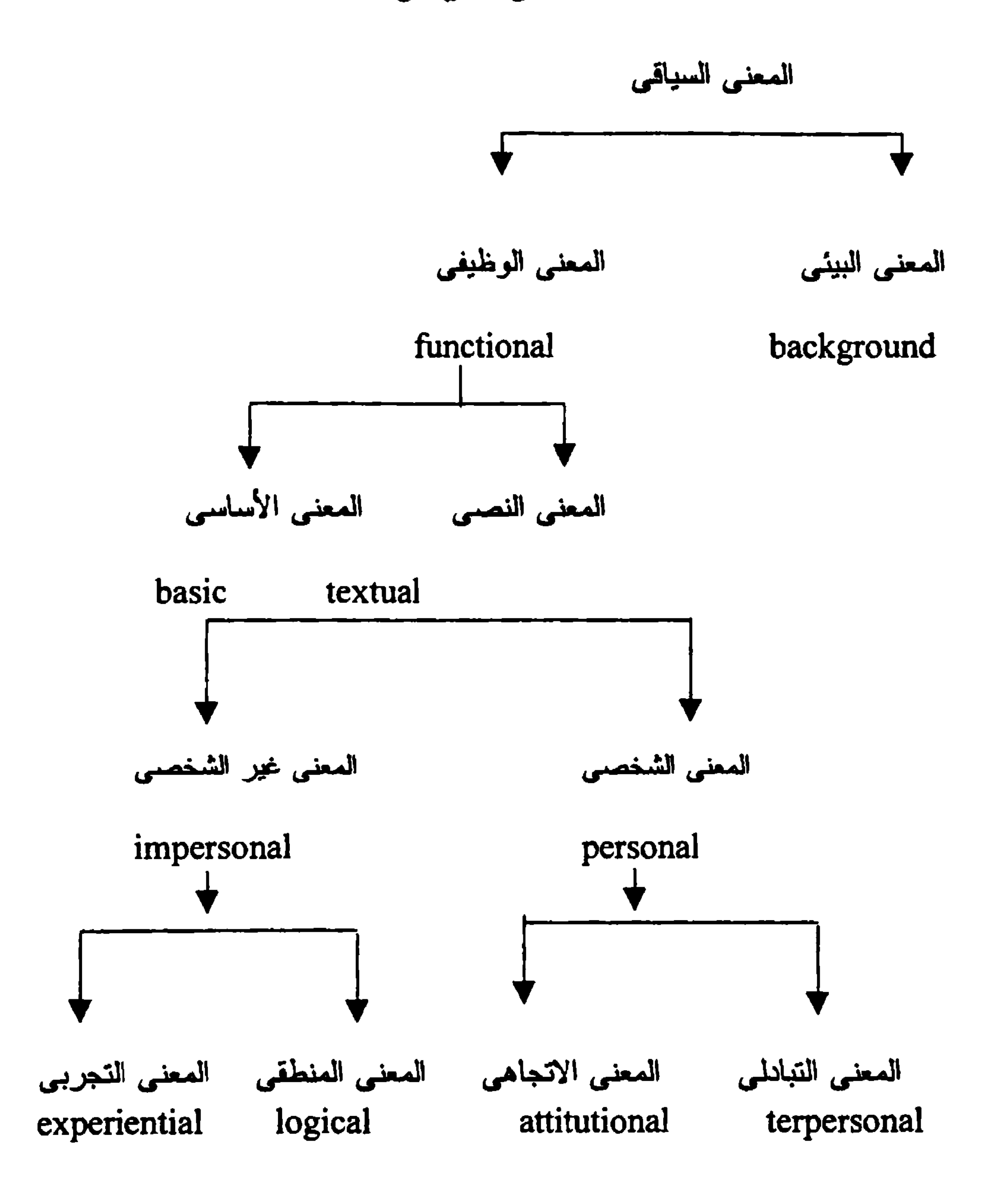
الأولى : التماسك cohesion: أى جعل اللغة المنطوقة أو المكتوبة تمثل نصًا متماسكا متوحدا ، بدل أن يكون مجموعة من الجمل المتراصة، وذلك بوسائل مختلفة كالربط ، والإضمار والإشارة، وغيرها. وقد تكسر قواعد التماسك النصّى أحياناً لأسباب أسلوبية أو بلاغية.

الثانية : الإبراز promenance : أى إبراز أجزاء معينـــة مـــن النص عن طريق اختيار الموضوع الموســـوم marked themeأو باختيار الموقع الموسوم marked point علــى غير الموسوم ، فاختيار الموضوع الموسوم نحو : القانون أحترم، فقد قدم القانون إبرازاً لـــه ، وجعـــلاً لـــه منـــاط الاهتمام. واختيار الموقع الموسوم للنبر نحو What shall ? I / ask for / فقد أبرز الضمير I بأن لفت الانتباه إليه بجعله يحمل النبر ٠ على أنه ليس من اللازم أن يجتمـــع التماسك والإبراز معاً ، فقد يرد أحدهما دون الآخر.

وقد أضافت برى نمطا آخـــر أطلقـــت عليـــه المعنـــى البيئـــى Background meaning وهو الذى يشير إلى الخلفية الثقافية للمتكلـــم أو الكاتب ، ويحدد بيئتة الاجتماعية ، ثم قدمت مخططا للأنماط المختلفة للمعنى السياقى مبينة كيف تكون علاقة كل منهما بالآخر ، وذلك علـــى النحو الآتى: (١)

(1)Berrey, M. (1977) Vol. 2 P.124

أنماط المعنى السياقى



خامساً : مفهوم التحقيق :

التحقيق واحد من الأسس المنهجية التى يقوم عليها علم اللغة النظامي. وقد استطاعت مارجريت برى بناءً على فهمها لما جاء به هاليداي أن تجلو هذا المفهوم فبينت أن التحقيق يتمثل فى العلاقة بين التصور المجرد والشكل المادى، فكل تصور مجرد يحققه عنصر لغوى مسموع أو مكتوب، وهو نوعان : معجمى يحقق التصورات الذهنية بألفاظ تتفق عليها الجماعة اللغوية كاتفاقهم مثلاً على أن مكان الجلوس الذى ظهر وأرجل بنسب معينه يحققه لفظ كرسى ، وهذا اللفظ يتحقق إما بسلسلة من الأصوات فيكون تحققا مسموعاً، وإما بسلسلة من الحروف فيكون تحققا مكتوبا. والثانى نحوى يحقق التصورات النحوية التى تحكم الاستعمال الصحيح ، فإذا كان لبعض الأشياء خاصية الإفراد مثلاً فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مفرد ، وإذا كان له خاصية عدم الإفراد فسوف يميز فى اللغة على نحو ما بأنه مثنى أو جمع. [1]

التحقيق إذن يكون بمادة substance صوتية أو كتابية، وعلى ذلك فالمظهر الكتابى الذى تتحقق به اللغة قسيم للمظهر المنطوق، وليس تعبيراً عنه لأن ثمة أنواعاً من النصوص تكون الكتابة فيها مقصودة لذاتها من دون التفات إلى أن ينطق بها أو لا ينطق ، ولكل من المنطوق والمكتوب خصائص يتميز بها عن قسيمه.

---

(1) Berry, M. (1977) Vol. 2 p . 18 f

ولا بدّ للمتكلم إذا أراد الاتصال بغيره أن يظهر المعانى الكامنة التى يريد أن يبلغها السامع أو القارئ بأن يشفرها فى أشكال مسموعة أو مقروءة أى أن يحول المعانى المجردة إلى رموز لغوية منطوقة أو مكتوبة ، وعلى السامع أو القارئ أن يحلّ هذا التشفير بإعادة الشكل إلى التصور ، فإذا نجح فى ذلك نجح الاتصال، وإذا فشل الاتصال. (١)

إن كل كلام يتطلب سلسلة من الاختيارات ، وكل اختيار يمثل حركة على مدى التحقيق ، وكل حركة تقرب الكلام خطوة من المظهر المسموع أو المكتوب للرسالة ، وبتتبع مدى " التحقيق " فى اتجاه " التحقيق " يستطيع السامع أو القارئ أن يحلّ شفرة الرسالة، ويكشف عن المعانى التى شفرها المتكلم أو الكاتب(٢) ومهمة النحو الأساسية هى أن يحدد على نحو مضبوط كيف يحقق التصور عنصر منطوق أو مكتوب؟ وأين؟(٣) ومن الممكن القول إن نحو اللغة يتألف من المعنى المجرد والشكل المادى المحقق ، فالمعنى هو الذى يحدد الشكل ، والشكل هو الذى يحول المعنى إلى رموز لغوية(٤) على أن الحركة عبر مدى التحقيق تتجه عادة من المعنى إلى الشكل عند المرسل، وتتجه من الشكل إلى المعنى عند المتلقى.

---

(1) Ibid, P . 35

(2) Ibid, P.21 f.

(3)Ibid , P 28.

(4)Ibid, P 211.

وللتحقيق صلة وثقى بالاختيار choice فكل كلام محقق يختـــار ممرا path أو ممرات عبر مدى التحقيق ، أى أنه يختار سلسلة أفقيـــة من بين سلسلتين أو أكثر من السلاسل المتاحة ، وهذه الممـــرات التـــى نسلكها حين نختار تقف بإزائها ممرات أخرى كان من الممكن أن تختار لكنها لم تختر.[١]

وحين نصف نحو لغة من اللغات فإن أهم ما يجب الاهتمام به هو استنباط الضوابط التى تتحول بها المعـــانى الكامنـــة potential إلـــى عناصر لغوية محققة أى إلى رموز منطوقة أو مكتوبـــة ، وأن نبيـــن العلاقة بين هذه المعانى والأشكال التى تحققها، ثم العلاقة بين الشـــكل المحقق والشكل المحتمل ، أى بين ما ظهر فعلاً وما كان من الممكن أن يظهر ، لكنه لم يظهر.[٢]

ويقرر النظاميون أن الاختلاف بين اللغات يتمثل فى ثلاث نواح:[٣]

أ – فـــى معانيهـــا الكامنـــة (والاختلاف فيها أقل من الاختلاف فى غيرها).

ب – فى التردد النسبى relative frequency الذى تختـــار بـــه المعانى.

جـ – فى الطرق التى تتحقق بها المعانى فى أشكال.

---

(1)Ibid , P 45.
(2)Berry , M (1977) Vol . 2 P . 48 f.
(3)Ibid , P 49.

ولا تقتصر عندهم علاقة التحقيق على تحقيق المعانى فى أشكال، بل تشمل أيضاً تحقيق الأنظمة فى تراكيب structures .[1] وقد يكون ظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه هو الذى يحقق عنصراً من عناصر النظام فاختيار العنصر خبرى indicative فى الإنجليزية مثلاً دون عنصر أمرى imperative يحققه ظهور المسند إليه subject فى تركيب العبارة كما فى نحو well-trained dogs keep to heel ، واختيار العنصر " أمرى " يحققه غياب المسند إليه subject من تركيب العبارة مثل : ! keep to heel وبعض عناصر النظام لا يتحقق بظهور عنصر من عناصر التركيب أو غيابه ، بل بموقعه بين عناصر التركيب الأخرى ، وهلم جرا. من ثم فإن المصطلح يتحقق بـ is realised by من الممكن أن يعبر عنه بقولنا مُظهر بـ is manifested by.[2]

وقد ذكرت مارجريت برى ست طرائق تحقق بها التراكيب الإنجليزية عناصر من أنظمة هى : الإدراج Insersion ، والتسلسل concatination والتخصيص particularisation ، والتضمن inclusion والدمج conflation ، والتقطع discontinuity.[3]

تلك كانت الأسس المنهجية العامة التى يقوم عليها علم اللغة النظامى ، وتميزه من النظريات اللغوية الأخرى . وهناك أسس منهجية

---

(1)Ibid , P . 22.

(2)Ibib , P . 22 f

(3)Ibid , P 28 ff

لا تقل أهمية عما قدمنا يتميز بها عن غيره فى درجة عنايته بها واهتمامه لها ، فهو أعنى بها واشدّ اهتماما من نظريات أخرى، وبخاصة النظرية التحويلة التوليدية وأهمها: [١]

١ - علم اللغة النظامى يرى اللغة شكلاً من أشكال الفعل form of doing أكثر من كونا شكلاً من أشكال المعرفة form of knowing فالتمييز بين السليقة competence والأداء performance عند التحويليين تمييز بين ما يعرف وما يفعل أما النظاميون فيميزون بين السلوك اللغوى الكامن potential والسلوك الفعلى ، وهو تمييز بين ما يمكن فعله وما يفعل ٠ ونظر التحويليين إلى النظام اللغوى langue بوصفه معرفة يعدّ جزءا من اهتمامهم بالجوانب النفسية فى الدرس اللغوى ، أما نظر النظاميين إلى النظام اللغوى بوصفه إمكانات للفعل ، ومحاولتهم الوصول إلى السلوك اللغوى الكامن موصولاً بالسياق الثقافى والاجتماعى فيعد جزءا من اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية فى الدرس اللغوى ٠ والعلاقة بين الفعل وإمكان الفعل أيسر من العلاقة بين الفعل والمعرفة. [٢]

٢ - يختلف النظاميون عن التحويليين فى تناولهم للنحوية grammaticalness (ينبغى ألا يلتبس هذا المفهوم بالمفهوم

---

(1) Ibib , P . 50 f.

(2)Berry, M . (1975) vol. 1 P . 24 ff.

التقليدى للصحة correctness) فالتحويليون يقيمـــون هـــذا المفهوم على أساس قبول acceptability ابـــن اللغـــة، لأن النظر إلى النحوية بوصفها قبولاً يتوافق مع النظر إلى اللغـــة بوصفها معرفة • أما النظاميون فيقيمون هذا المفهوم علـــى أساس يتفق مع نظرتهم إلى اللغة بوصفها شكلاً من أشـــكال الفعل وهو اعتيادية الجملة usualness of sentence، ومـــن ثم لا يحب النظاميون أن يناقشوا النحوية بمعزل عن الســـياق الذى تستخدم الجملة فيه. فقد تكون مقبولة أو غـــير معتـــادة unusual أو غير مستحبة unlikely فى أنماط محددة مـــن السياق ، لكنها قد تكون مقبولة أو معتادة أو مستحبة فى سياق آخر. ولما كان التحويليون ينظرون إلى الكلام على أساس أنه إما نحوىّ وإما غير نحوى فقد اضطروا إلى إخراج كثير من الجمل التى يبدعها الشعراء والأدباء مـــن الجمـــل النحويـــة واعتبارها غير نحوية. أما النظاميون فقادرون على وضـــع هذه الجمل تحت عنوان: جمل غير معتادة، وأحيانـــا غـــير معتادة على نحو مخفف أو غير معتادة جدا. ومن ثـــم كـــان التحويليون يدركون جيداً صعوبة الوصـــول إلـــى الطريقـــة المثلى لدراسة الأعمال الأدبية فى إطـــار النحـــو التحويلـــى التوليدى. أما النظاميون فقادرون على دراسة الأعمال الأدبية التى تعدّ بحق استعمالاً إبداعيا للغـــة ليس من الممكن إغفاله، داخل الإطار الأساسى لنحوهم ، وهم بذلك لم يهملوا الجوانب الجمالية التى أهملها اللغويين الأمريكيون بصفة عامة.

٣ - ورث هاليداي اهتمام فيرث بالتطبيقات العملية للنظرية اللغوية، فكان من اهتماماته الأساسية إيجاد الوسائل التى يستطيع بها الباحثون أن يسهموا فى مجالات تطبيقية متنوعة كعلم الأسلوب، وتعليم اللغة، والذكاء الاصطناعى وغير ذلك فضلاً عن إسهامه المتميز فى دراسة النصّ موصولاً بالسياق الاجتماعى والثقافى وهو نمط من الدرس تجاهلته المدارس الأخرى.

البَابُ الثَّانِي

النشأة والتطور

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المرحلة الأولى : نحو المقياس والفصيلة

تبدأ المرحلة الأولى فى حياة هذه النظرية بالبحث الذى نـــال بـــه هاليداي درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٥ م ، ونشره سنة ١٩٥٦م ، وكـــان موضوعه " الفصائل النحويـــة فى الصينية الحديثـــة Grammatical Categories in Modern Chinese، وقد استطاع فيه أن يضع إطـــاراً نظريا متماسكا يمكن أن تعالج من خلاله العلاقات بين الوحدات اللغويـــة معالجة منهجية.[١]

ثم اتضحت معالم النظرية فى هذه المرحلة بالبحث الذى اكتمـــل قبل وفاة أستاذه فيرث ، ونشرة عام ١٩٦١ م ، وعنوانه فصائل نظريـــة النحو Categories of the Theory of Grammar بسط فيه الخطـــوط العريضة لنظرية شاملة عن ماهية اللغة وكيفية عملها ، أخذ كثيراً مـــن أصولها عن فيرث. [٢] ثم أتبع هذا البحث ببحث أكثر تفصيلا نشره سنة ١٩٦٤ مشتركاً مع آخرَيْن هما : مكينتـــوش Mcintosh وســـترفنس Strevens عنوانه : العلوم اللغوية وتعليـــم اللغـــة The Linguistic Sciences and Language Teaching. وقد سميت النظريـــة فى هذه المرحلـــة : نحو المقيـــاس والفصيلـــة Grammar of Scale and Category ، كمـــا سميت الفيرثيـــة الجديـــدة New Firthian . [٣]

---

(1)Butler , Ch.S.(1985) P. 14.

(2)Malmkjær , K . (1991) P. 384

- Robins,R.H.(1980):General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

(3)Ibid , P. 282

- Mindt , D . (1975) S.140

وقد ذكرنا أن هاليداي كان من أنبه تلامـــذة فـــيرث، وأشـــدهم استيعاباً لآرائه وأفكاره ، وأشرنا إلى أن أعمال فيرث على الرغم ممـــا فيها من نظرات نافذة كانت تفتقر إلى إطار نظرى متماسك يجمع شتاتها ويؤلف بينها ، ويوضح الأسس المنهجية التى تقوم عليـــها . فعـــزم هاليداي على أن يستثمر جهود فيرث فى علـــم اللغة، وأن يبنى عليهـــا ليقدم إلى علم اللغة الفيرثى ما لم يقدمه فيرث نفسه. (١)واستطاع أن يقدم وصفا واضحا متماسكا لنظرية فى اللغة تفيد مـــن تصـــورات فـــيرث ومفاهيمه لكنها تتجاوز تلك التصورات والمفاهيم بقدرة بارعـــة علـــى التنظير. (٢)

لقد أقام هاليداى تصوره للإطار النظرى لدراســـة اللغـــة فـــى صورتها المتحققة فى نص مسموع أو مقروء علـــى ثلاثـــة مســـتويات أساسية ومستويين بينيين أو رابطين يربطان بين هذه المستويات الثلاثة، وأربع فصائل ، وثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض. وســـوف نفصل الآن القول فيهـــا:

أولاً : المستويات :

المادة Substance :

والمقصود بها المادة الغفل raw material التى تتكون منها اللغة، وهى نوعان : مادة مسموعة phonic تتمثل فى الأصـــوات ، ومـــادة

---

(1) Robins , R.H (1980) P . 282

(2)Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

مكتوبة graphic وتتمثل فى الحروف أو الرموز الكتابية ، وكلتـــاهما تمثل وسيطا ماديا يتم الاتصال اللغوى من خلاله.(1)

الشكل Form :

والمقصود به النص المستخدم فى اتصال لغوى ، ويتألف مـــن جانبين هما : النحـــو grammar ، والمعجم lexis ، والفرق بينهما أن النحو نظام مغلق يختار فيه المرء بين عدد محددّ من العنـــاصر، أمـــا المعجم فالاختيار فيه مفتوح ؛ لأن عناصره غير محصورة. (2)ويتضـــح هذا الفرق فى المثالين الآتيين:

١ - ـــــ ذهبت. إذا أردت أن تضع ضميرا شـــخصيا فـــى المكان الخالى قبل الفعل ، فلا بدّ أن تختار ضميراً من عدد محصور من الضمائر فى اللغة العربية يمثل نظام الضمائر فيها، وهو نظام تام مغلق ، ليس من الممكن أن نزيد فيه أو ننقص. والضمير المختار ينبغى أن يكون " هى ".

٢ - ذهبت هند إلى ـــــ . إذا أردت أن تضع بعد حرف الجرّ عنصراً معجمياً فالاختيار أمامك مفتوح يشمل كل الأمـــاكن التى تستطيع هند الذهاب إليها، وهـــى أمـــاكن لا يمكـــن

---

(1)Halliday , M.A.K. (1961) :Cotegories of the Theory of Grammar, in :kress, G.(ed) 1976 P. 53
- Mindt , D. (1975) S . 140 .
- Robins , R.H. (1980) P. 282

(2)Halliday , M.A.K. (1961) in : Kress, G.(ed)1976 P . 55
- Mindt , D. (1975) S. 142

حصرها كالبيت، والمسجد، والكلية، والمكتبة، والســـوق، والمتجر، والمصنع... الخ.[١]

وثمة فرق آخر بين النحو والمعجم يتمثل فى أن الاختيــار فــى النحو قد يكون متزامناً بين أبواب نحوية كالإفراد والتثنيــة والجمــع ، والتذكير والتأنيث ، والتعريف والتنكير ... الــخ . علــى حيــن أن الاختيار فى المعجم لا يتعدى العناصر المعجمية المفردة.[٢]

ومصطلح العنصر المعجمى lexcal item مفضــل فــى هــذا المجال على مصطلح الكلمة ؛ لأن كثيرا من العناصر المعجمية تضــمّ أكثر من كلمة مثل مفتاح باب غرفــة المكتــب ، رخصــة القيــادة ، ضريبة المال العام ، وكيل النيابة ، رئيس الجامعة ، ولأن كثيراً مــن الكلمات لا تعدّ عناصر معجمية كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وحروف الجرّ وأسماء الشرط ... الخ.[٣] من هنا كــانت الدراسات المعجمية فى هذه المرحلة المبكرة من حياة النظريــة تــهتم بعلاقات التضام collocation. وهو أمر كان فــيرث يوليــه ــ كمــا رأينا ــ عناية خاصة.[٤]

---

(1) Mindt, D. (1975) . S . 143.

(2) Ebenda, S. 143

(3) Morley , G.D. (1985) P . 3

(4) Ibid , P 3.

الموقف Situation :

والمراد به كل العناصر الاجتماعية والثقافية التى تخــرج عــن نطاق النظام اللغوى ، وتمثل ظروف النص المدروس وملابساته ، إنـها تشمل مثلاً مكان النص ، وزمانه ، والوقائع التى مهدت له وأحاطت به، وعدد المشاركين فيه ، وطبيعة شخصياتهم ، ومنزلــة كل منــهم مــن الآخر، وموضوع الحديث ، والأحداث المصاحبــة له ، وما يقوم بــــه المشاركون من إيماءات وحركات جسمية. [1]

هذه المستويات الثلاثة هى المستويات الأساسية التى يقوم عليـــها علم اللغة ، وثمة مستويان رابطان interlevels بينها ، أحدهما يربـــط المادة بالشكل ويتكون من مظهرين تبادليين هما الصواتــه phonology والخطاطة graphology والآخر يربط الشكل بالموقف وهو السياق:[2]

أ ـ الصواتة والخطاطة :.

هما مستويان تبادليان يمثلان مظهرى الاستخدام اللغـــوى نطقــاً وكتابة، فالصواته علم يهتم بالوحدات الصوتية فى لغة محددة، والقيمــة التى لها فى تلك اللغة، ففى اللغة أربع وحدات صواتية (= فونولوجية) هى الفونيم phoneme والمقطع syllable ، والتفعيلة foot، والضميمة النغمية tone group فالفونيمات تتمثل فى الوحدات الصوتية المفـودة ، والمقاطع تتمثل فى أنماط البروز النسبى للصوت فى سلسلة الفونيمات ،

(1)Ibid , P 3

(2)Morley . G . D . (1985) P 3
- Mindt , D . (1975) S . 141

ولكل مقطع ذروة أو أوج peak من البروز ، والتفعيلة تتمثل فى أنمـاط النبر stress pattern فى سلسلة المقاطع ، وعلى كل تفعيلة يقع نـــبر واحد قوى. أما الوحدة النغمية فتحمل أنماط التنغيم. (١)

والفرق الأساسى بين علم الأصوات phonetics وعلم الصواتـه phonology يتمثل فى أنّ علم الأصوات يعنى بالطبيعـة الجوهريـة للأصوات من دون نظر إلى اللغة أو اللهجة التى تنطق فيها ، على حين أن علم الصواتة يهتم بوظيفة الأصوات فى نظام محدد للغة محـددة أو لهجة. (٢)

أما الخطاطة فهى دراسة لأنظمة الكتابـة وعلاقاتـها بالأنظمـة الصواتية. (٣)

ب ـ السياق contxt:

وهو مستوى يربط بين الصيغة والمقام أو المواقف غير اللغوية ، فهو يربط المعانى الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعانى المقاميـة التـى تلابس الحدث اللغوى. (٤)وقد ظهر أثر هـذا المسـتوى واضحـاً فـى الدراسات المبكرة لضروب الاستعمال اللغوى registers التى يختـص فيها ضرب معين من اللغة بضرب معين من الاستخدام ، فلغة الوثـائق

---

(1)Morley , G . D . (1985) P . 3 f

(2)Ibid , P . 4

(3)Mindt , D . (1975) S . 141

(4)Ibid , S . 141

القانونية غير لغة الجراحة عند الأطباء ، وكلتاهما غير اللغة المستخدمة في مأدبة عشاء ... الخ. (١)

ومن الممكن أن نورد الآن شكلا يلخص المستويات الجوهرية الثلاثة التي يقوم عليها علم اللغة ، وما يربط بينهما : (٢)

المادة	↔	الشكل	↔	المقام
المادة الصوتية	الصواته الخطاطة	النحو المعجم	السياق	المحيط الاجتماعي والثقافي
	علم اللغة			

ولكل مستوى من هذه المستويات علم يقوم على دراسته ، فدراسة المادة الصوتية الغفل يقوم عليها علم الأصوات phonetics ، ودراسة الشكل والسياق يقوم عليها علم اللغة ، وعلم الصواته phonology يصف العلاقة بين المادة الصوتية الغفل والشكل. أما العلاقة بين الشكل والمادة الكتابية فيقوم عليها علم الخطاطة، ولا يحمل كل من علم الصواته وعلم الخطاطة على علم الأصوات وحده، ولا علم اللغة وحده، وإنما ينتمي كل منهما إلى كلا المجالين. والشكل يقوم على دراسته النحو والمعجم ، أما السياق من حيث هو علاقة بين الشكل والأحوال غير اللغوية فيقوم على دراسته علم الدلالة semantics، وهو يمثل

---

(1)Morley , G.D. (1985) P . 4 f

(2)Ibid , P . 6

- Mindt , D . (1975) S . 141
- Robins . R. H (1980) P 283

المعبر بين الظواهر اللغوية والظواهر غير اللغوية. [1] ولا يبعد هذا التصور للإطار النظرى عن تصور منظومية هيلمسلف الذى أشرنا إليه قبلا. [2]

ثانيا : الفصائل : categories :

يقوم النحو فى هذه المرحلة على أربع فصائل أساسية هى الوحدة unit ، والصنف class ، والتركيب structure والنظام system. [3]

الوحدة :

الوحدة فى النحو تشبه إلى حدّ كبير الوحدة التى تقاس بها أطوال الأشياء، فكما أن الأشياء تقاس بالياردة والقدم والبوصة ، أو المتر والسنتيمتر والمليمتر مرتبة على هذا النحو فإننا نقيس القطع اللغوية segments بالجملة sentence ، والعبارة (= الجملة الأساسية) clause ، والضميمة group ، والكلمة word ، والمورفيم morpheme. [4]

وكان هاليداي فى بحثه عن اللغة الصينية سنة ١٩٥٦ قد جعل الوحدة الخامسة بعد الجملة والعبارة ، والضميمة والكلمة ما أطلق عليه الكاركتر character (وهو رمز كتابى يعتمد على تيمة صوتية فى

---

(1)Mindt , D. (1975) S. . 141
- Robins , R. H. (1980) P . 282 f

(٢) انظر ص من هذا البحث.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 55

(4)Berry, M. (1975) vol . 1 P . 91

الأنظمة الكتابية غير الألفبائية، وقـد استبدل به من بعـد ، حين اتجـه بأبحاثه إلى دراسة اللغة الإنجليزية، المورفيم.[١]

وهذه الوحدات الخمس متدرجة تدرجا هرميا،[٢] ولكـل منـها صلة بالآخر من حيث الحجـم size ، والاشـتمال inclusion ،[٣] فالجمل تشتمل على العبارة (= الجملة الأساسية) والعبـارات علـى الضمائم ، والضمائم على الكلمات والكلمات على المورفيمات كما يظهر ذلك في الشكل الآتى الذى يمثل مقياس الرتبة rank scale [٤]

وحدات النحو	الجملـة	sentence
	العبـارة	clause
	الضميمة	group
	الكلمـة	word
	المورفيم	morpheme

ولكل من الوحدتين الأولى ، وهى الجملة ، والأخـيرة ، وهـى المورفيم خاصية تختلف بها عن غيرها من الوحدات ، فالجملـة هـى الوحدة الكبرى ، وهى من ثمَّ لا تنضوى تحت وحدة أخرى ، والمورفيم هو الوحـدة الصغـرى ، فلا تنضوى تحته وحدات أخرى ، أى أنـه إذا كانت كل وحدة من الوحدات ـــ فيما عدا المورفيم مركبة مما يليها ،

---

(1)Malmkjær, K. (1991) Scale and Category Grammar . P . 385

(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress, G . (ed) 1976 P.57 f

(3) Robins, R.H. (1980) P . 283

(4) Berry, M. (1977) vol. 2, P.7.
- Morley, G.D. (1985) P.8 f.

فإن المورفيم لا يكون إلا وحـــدة بسيطة ، لأن كل وحدة أخــــرى قـــد تتكون من وحدات تالية لها ، أما المورفيم فلا تتلوه وحدة أخـــرى ؛ إذ هو آخرها وأقلها حجما. (١)

وقد قدم هاليداي وزميلاه مثالاً توضيحيا مـــن اللغـــة الإنجليزيـــة هـــو: I was going to say they were probably all in tents then فذكر أن الجملة تتكون من عبارتين همـــا :

1- I was going to say.

2 - They were probably all in tents then.

وكل عبارة منهما تتكون من ضميمة أو أكثر، فالعبـــارة الأولـــى تتكون مـــن :

- I وهى ضميمة اسمية مكونة من كلمة واحدة.
- was going to say وهى ضميمة فعلية تتكون من أربع كلمات
- was كلمة تتكون من مورفيم واحد ، ولا يمكن تقسيمها .
- going كلمة تتكون من مورفيمين go + ing ، وليس مـــن الممكن تقسيم أى منهما بعد ذلك. (٢)

---

(1) Morley . G.D. (1985) P. 8.

(2)Halliday . M.A.K. _ McIntosh. A- Strevens, P. (1964) P.26.

فإذا كانت الجملة تتكون من مورفيم واحد مثل yes في الجـواب عن سؤال فقد رأى هاليداي وزميلاه أنهـا ينبغي أن تحلل – مراعـاة للاتساق النظرى – على أنها جملة واحدة، تتكون من عبارة واحـدة ، تتكون من ضميمة واحدة تتكون من كلمة واحـدة تتكون من مورفيـم واحـد[١] وهـو مـا أطلـق عليـه مبـدأ " الحسـاب الكلـى total accountability". ولم يسلم هذا المبدأ من هجـوم عليـه مـن غـير النظاميين. [٢]

التركيب structure :

التركيب هو ترتيب العناصر النحوية فى مواقع محـددة ترتيبـاً تتابعيا، بحيث يكون بينـها علاقـات متبادلـة. والـتركيب فصيلـة موضوعـة لإيضاح التمـاثل likeness بيـن العنـاصر، وتكـرار repetition وقوعها، وهو تجريد يصف أنماط العلاقات التتابعية علـى المستوى النحوى. [٣]

ولكل وحدة من الوحدات الخمس التى سبق ذكرها تركيبـها ممـا يليها من وحدات ، فيما عدا الوحدة الصغرى " المورفيم " فلا تركيـب لها. [٤] ولا يقال إن المورفيم يتكون من فونيمات، لأن المورفيـم آخـر الهرمية النحوية أما الفونيم فهو آخر الهرمية الصوانية (الفونولوجيـة)

---

(1) Ibid, P. 26

(2) Butler , Ch.S. (1985) P . 17

(3)Halliday , M.A.K. (1961). in : Kress, G (1976) P . 59

(4) Halliday , M.A.K. et al (1964) P . 28

التى تتكون من المجموعة النغمية tone group والمجموعة التغمية تتكون من تفعيلات feet والتفعيلات من مقاطع syllables ، والمقاطع من فونيمات phonemes.[١]

والجملة تتركب من عبارتين على الأقل إحداهما أصلية وهى العبارة الحرة free التى يمكن أن تستقل بذاتها ، والأخرى فرعية subordinate وهى العبارة المقيدة bound المعتمدة على غيرها والعبارة الأصلية يطلق عليها فى نحو المقياس والفصيلة المصطلح ألفا ويرمز لها بالرمز α ، والعبارة الفرعية يطلق عليها مصطلح بيتا ويرمز لها بالرمز β .[٢]وسوف نكتفى هنا بأن نرمز للعبارة الأصلية بالرمز "ص" وللعبارة الفرعية بالرمز " ف " موردين أمثلة عربية كلما أمكن ذلك تيسيراً على القارئ العربى ، ومحاولة للتطبيق على العربية فالجملة التى تحتوى على عبارتين إحداهما أصلية والأخرى فرعية مثل قوله تعالى:

ف ص

﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ (البقرة ١٨٦)

---

(1)Ibid, P. 60
- Robins , R. H. (1980) P . 283
(2)Morley , G.D. (1985) P . 9 f

ويجوز أن تشتمل الجملة الواحدة على جملتين أصليتين أو أكثر ، نحو قوله تعالى:

ص ص ف

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (البقرة ١٨٧).

كما يجوز أن تشتمل على جملتين فرعيتين أو أكثر نحو قوله تعالى :

ص ف ف

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (البقرة ١٩٣)

أما تركيب العبارة فيشتمل على أربعة عناصر أساسية تتماثل فيها العبارات جميعها وهى: [١]

١ - المسند إليه	subject	(= م)
٢ - المسند	predicator	(= س)
٣ - المتمم	complement	(= ت)
٤ - المستلحق	adjunct	(= ل)

(1)Halliday , M. A. K . (1961) , in : Kress, G. (ed) 1976 P . 61
- Berry , M . (1977) vol . 2 P .4.

فالمسند إليه لا يكون إلا ضميمة اسمية ، والمسند فى الإنجليزية لا يكون إلا ضميمة فعلية ، وهو فى العربية قد يكون ضميمة اسمية أو فعلية ، والمتمم يكون ضميمة اسمية أو وصفية ، والمستلحق يكون ضميمة ظرفية أو جرية أو غيرهماوالفرق بين المتمم والمستلحق أن المتم لا يستغنى لا يستغنى عنه الكلام فهو متمم لعنصرى الإسناد فإذا لم يذكر فى الكلام عد محذوفاً ، أما المستلحق فمن الممكن الاستغناء عنه من دون أن يؤدى إلى خلل فى التركيب النحوى أو تغيير فى أصل المعنى[1]نحو :

م	س	ت	ل
زيد	أكرم	عمراً	كل الإكرام

وقد ذكر مورلى عنصراً خامساً هو " z " وهو يشير إلى ضميمة اسمية غير معروف إن كانت مسنداً إليه أم متمما نحو : قصة مدينتين، سوناتا ضوء القمر ، ونحو ماما فى قولك : اندفع الأطفال صائحين : ماما. ويظهر العنصر " z " فى الجملة التامة حين تقوم الضميمة الاسمية بوظيفتى المسند إليه والمتمم فى وقت واحد مثل : ساعد الرجل زوجته على أن تعبر الطريق ، فالضميمة الاسمية " زوجته " فى هذه الجملة تقوم بوظيفتين : متمم للفعل ساعد ، ومسند إليه للفعل تعبر ، وكذلك نحو : أقنع الرجل أخته بأن تزوره ٠ وظاهر أن

(1)Morley , G.D. (1985) p.10 f

هذا العنصر يستخدم عند غياب المسند إليه أو المسند ، وعند اندماج وظيفتين فى عنصر لغوى واحد.[1]

ويظهر التماثل فى تركيب العبارات إذا أمكن تقسيم كل منها أقساماً متماثلة يمثل كل قسم منها عنصراً من عناصر التركيب ، مثل:[2]

م	س	ت	ل
زيد	فتح	الباب	فجأة
أغلب الطلاب	لم يفهموا	الدرس	أمس
خالتى زينب	قرأت	هذه القصة	عدة مرات
أنماط جديدة من السلوك	أصبحت	شائعة جدا	هذه الأيام

على أنه ليس من اللازم أن يشتمل تركيب كل عبارة على هذه العناصر الأربعة ، فقد لا يستعمل بعض هذه العناصر ، وقد يتكرر بعضها ولا يتكرر بعض آخر ، فقد يتكرر المتمم ولا يستعمل المستلحق ، وقد يتكرر المستلحق ويحذف المتمم ، وقد يذكر المسند إليه ويحذف المسند أو العكس،[3] لكن التراكيب المتماثلة لا بدّ أن تكون متماثلة فيما يحذف أو يذكر أو يتكرر من العناصر.

---

(1) Ibid P . 10 f

(٢) انظر الأمثلة التى أوردتها برى فى :

- Berry, M (1975) Vol. 1 p. 63.

(3)Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress , G. (ed) 1976 P 61 ff.

وأما تركيب الضميمة ، إذا كانت اسمية ، فينقسم إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يمثل موقعاً ، وكل موقع مشغول بعنصر ، فالعناصر إذن ثلاثة هي : محدد سابق modifier (= د)، وكلمة أساسية headword (= ك) ومحدد لاحق qualifier (= ح) ويتضح ذلك من المثال الآتى. [1]

د	ك	ح
ال	رجل	الذى فقد عقله

على أنه ليس من اللازم أن يذكر كل من المحددين فى كل ضميمة، بل قد يكتفى بالكلمة الأساسية فتعدّ وحدها ضميمة اسمية مثل زينب مثلاً أو أحمد فى نحو : زينب كريمة ، أحمد كريم .

د	ك	ح
ال	رجل	—

وكالبر فى نحو : رجل البرّ قادم

د	ك	ح
—	رجل	البرّ

---

(١) انظر أمثلة من اللغة الإنجليزية فى :

- Morley , G.D. (1985) p.12.
- Berry, M. (1977) vol. 2 P. 5.

وقـــد يتعدد المحـــدد السابق فى ضميمة اسمية واحدة كمـــا فى :
هذا الرجل / كريم(١)

د	د	ك	ح
هذا	ال	رجل	—

وقد يتعدد المحدد اللاحق فى ضميمة اسمية واحدة كما فى نحـــو :
تحيةً من عند الله مباركة طيبة. (٢)

د	ك	ح	ح	ح
—	تحيةً	من عند الله	مباركة	طيبة

وإذا كانت الضميمة فعلية كان من الممكن أن تشتمل أيضا علـــى ثلاثة مواقع كل منها مشغول بعنصر ، والعناصر الثلاثة هـــى : فعـــل مساعد (= ف م) ، وفعل أصلى (= ف ص) ، ومتمم (ت) (٣)كمـــا فى قوله تعالى: (٤)

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ (مريم ٥٥)

---

(١) انظر : محمود أحمد نحلة : التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل (الإسكندرية) ١٩٩٧ ص ٢٣ فما بعدها.

(٢) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزية فى

- Mindt, D (1975) S 144

(3) Malmkjær, K. (1991) : Scale and Category Grammar . P . 386

– Berry, M. (1975) vol. 1 p. 107

(٤) انظر مثالاً من اللغة الإنجليزيـــــة فى:

- Mindt, D. (1975) S. 144

ت	ت	ف ص	ف م
بالصلاة	أهله	يأمر	وكان

ونحو قوله تعالى :

﴿إذا أخرج يده لم يكديراها﴾ (النور ٤٠)

ت	ف ص	ف م
ها	يرى	لم يكد

وأما تركيب الكلمة فيتكون من أربعة أنواع من المورفيمات هي السابقة prefix والأساس base واللاحقة suffix والنهاية (الإعرابية) كما في نحو : الأصليان

ال : سابقة أصل : أساس

يّ : لاحقة ان : نهاية

وليس من اللازم أن تشتمل الكلمة على هذه المورفيمات مجتمعة ، كما أن من الممكن أن تتعدد السوابق أو اللواحق في كلمة واحدة.

على أن هاليداي قد عني بالتفريق بين الترتيب order والتتابع sequence فذكر أنهما غير متطابقين ، فالترتيب لا يكون إلا على أساس المواقع، أما التتابع فلا يشترط فيه ذلك ، فقد يكون تتابعاً أصيلا

أو غير أصيل كأن يقدم عنصر من تأخير مثلاً .[1] وللترتيب دور مهم في تركيب العبارة الإنجليزية ، إذ إنه معيار حاسم للمسند للمسند إليه الذى يرد دائماً سابقا على المسند[2] وهاليداي يشير إلى علاقة التتابع الأصيل – وهو الذى يرادف الترتيب ـ بوضع سهم فوق العناصر المتتابعة أصالة نحو SPCA (= م س ت ل).[3] وعلى الرغم مما تعرض له هذا التفريق من نقد فقد ظل هاليداي متمسكاً به في أبحاثه التالية.[4]

الصنف calss:

لكل تركيب عناصره التى يشغل كل منها موقعاً فيه ، وما يندرج تحت كل عنصر من مفردات تمثل هذا العنصر يسمى صنفا[5]فالصنف عدد من مفردات العناصر اللغوية تتماثل توزيعيا في تحقيقها لعنصر من عناصر التركيب من دون نظر إلى تماثلها الشكلي أو تركيبها الداخلي internal structure فليس صحيحاً أن أى صنف من مفردات اللغة يمكن أن يقع في أى موقع من مواقع التركيب،[6] فالمفردات من نحو: كتب، واستقرّ ، وتوالى ، وكان يفعل ، وأخذ يفعل، وكاد يفعل وأشباهها

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 18

(2)Ibid , P . 18

(3)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 62

(4)Butler, Ch. S. (1985) P. 18

(5)Halliday M.A.K. (1961) , in: Kress, G. (ed) 1976 P . 64

(6)Ibid, P. 64

- Butler, Ch. S. (1985) P . 24

تتجمع فى صنف يقوم بدور المسند فى العبارة، ولا يجوز مثلاً أن تقع موقع المسند إليه أو تقوم بدوره. (١)

والفرق بين الصنف class والنمط type عند هاليداي أنّ النمط يحدد على أساس التماثل الشكلى، أما الصنف فيحدد على أساس الدور الذى يقوم به فى التركيب. (٢) والفرق بين الصنف وعنصر التركيب أن عنصر التركيب يحدد موقعيا على أساس العلاقة الأفقية بينه وبين غيره من عناصر التركيب ، أما الصنف فيحدد جدوليا على أساس العلاقة الرأسية بين المفردات التى تشغل موقعا واحداً ، وتمثل عنصراً واحداً من عناصر التركيب. (٣)

على أنه قد يقع تداخل بين أصناف المفردات التى تمثل عناصر فى التركيب ، ففى نحو **زيد أكرم عمرا** ، **وعمرو أكرم زيداً** ندرك أن "أكرم " فى كلتا الجملتين يندرج فى صنف هو " الفعل " أو " الضميمة الفعلية " وأنه يقوم هنا بدور المسند.أما زيد وعمرو فى كلتا الجملتين فقد استخدم كل منهما مسندا إليه ومتمما على السواء ، وفى هذه الحالة يظهر ما سمى من بعد الصنف المتقاطع cross – class أى الذى يصلح أن يمثل عنصرين من عناصر تركيب العبارة أو أكثر ، وفى هذه الحالة ينبغى أن يعامل هذا الصنف المتقاطع على أنه صنف واحد هو " الاسم " أو الضميمة الاسمية ". فالضميمة الاسمية تشغل عادة موقع

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P . 24.

(2) Ibid , p . 24

- Berry, M. (1975) vol. 1 p. 76.

(3)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64

المسند إليه أو المتمم فى التركيب أو هما معاً ، (وقـد تشـغل أيضـاً موقع المستلحق فى اللغة العربية حين تقع حالاً أو مفعـولاً مطلقـاً أو مفعولاً لأجله ... الخ). والضميمة الفعليـة تقـوم بدور المسند.[١]

وقد أضيفت إلى هاتين الضميمتيـن ضميمتـان أخريـان همـا الضميمـة الظرفيـة adverbial group والضميمـة الجريـة preposational group ، وقد تكون كل منهما متمما أو مستلحقا.[٢]

ومن الحق أن نقول إنه ليس من اللازم أن يخصص صنف بعينـه ليمثل عنصراً بعينه من عناصر الـتركيب ، أو أن صنفـا بعينـه لا يمكن أن يمثل عنصرا بعينه ، فذلك موكول إلى طبيعـة الاستخدام. وقد قـدم بعـض الباحـثين مثـالاً متطـرفاً لذلك من اللغـة الإنجليزيـة هو: He sang his didn't, he danced his did فكـلا العنصريـن did و didn't ينتمى إلى صنف الفعل المسـاعد لكنـه اسـتخدم هنـا استخدام الأسماء، [٣] ومثل ذلك أن يقـال فـى العربيـة المعـاصرة " أنجـزت هذا الأمـر بالكاد"، إذ استخدم فيه الفعل كاد ، وهو من صنف الفعل المساعد فى العربية استعمال الأسماء ، وهو استخدام غـير وارد فى عربية التراث.

---

(1) Butler, Ch. S. (1985) P 25
-Berry , M . (1975) vol . 1 p . 75

(2) Morley , G. D. (1985) P . 16

(3) Berry , M . (1975) vol . 1 p . 76

وقد أشار هاليداي إلى أن الأصناف الأساسية يمكن أن تقسم إلى أصناف ثانوية secondary classes على أساس ما يشغل منها موقعاً بعينه فى التركيب، وما يكون منها حراً غير مقيد بموقع، وهذا الاتجاه الموقعى يعدّ عند هاليداي مقياساً لتأسيس الأصناف الثانوية للضميمة الظرفية.(١)

ولم يلبث هاليداي أن فرق بين الأصناف الثانوية والأصناف الفرعية ، فإذا كانت الأصناف الثانوية تحدد على أساس الموقع فإن الأصناف الفرعية تحدد على أساس مصاحبتها للعناصر الإشارية deictics فمن الممكن مثلاً تقسيم الضميمة الاسمية إلى صنفين فرعيين: معدودة وغير معدودة ، فالأسماء المعدودة يمكن أن تقع مصاحبة ل each, a إذا كانت مفردة ، ول these إذا كانت جمعا ، أما الأسماء غير المعدودة فلا تكون مصحوبة بمثل هذه ، بل تكون مصحوبة بنحو much .(٢)

النظام : system

النحو عند هاليداى هو ذلك المستوى من الشكل اللغوى الذى يقوم على أنظمة مغلقة ، وهو يرى أن وصف الأنظمة بالمغلقة ما هو إلا وسيلة توكيد ، لأن النظام لا يكون نظاماً إلا إذا كان مغلقاً أى محصوراً بالعدّ، فهو يتكون دائماً من عدد محصور من العناصر لا تزيد ولا

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 64 f.
- Butler , Ch .S. (1985) P . 25f .
(2) Butler , Ch .S. (1985) P . 26.

تنقص، وكل عنصر من عناصر النظام الواحد لا بدّ أن يكون مختلفاً عن سائر العناصر، فلا يجوز أن يطابق عنصر فى نظام عنصراً آخر فى النظام نفسه. (١)

وتستخدم عناصر النظام استخداماً تبادليا ، فاختيار واحد من العناصر يمنع أى عنصر آخر من النظام نفسه، فإذا كان شئ ما مفرداً مثلاً فلا يمكن أن يكون في الوقت نفسه جمعاً، واختيار المفرد فى نظلم للعدد يتكون من المفرد والجمع يستلزم استبعاد الجمع. كذلك لا يجوز استخدام أكثر من عنصر واحد من عناصر نظام بعينه فى موقع واحد، فلا يجوز مثلاً أن تقول:

*أنا أنت ناجح . (٢)

والمعنى الوظيفى لكل عنصر فى النظام يعتمد على معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه ، فنظام العدد فى الإنجليزية المعاصرة يقوم على عنصرين مفرد وجمع ، وقد كان فى الإنجليزية القديمة يقوم على ثلاثة : مفرد ، ومثنى ، وجمع ، ولذلك فإن معنى عنصر الجمع فى نظام للعدد ثنائى يختلف عنه فى نظام للعدد ثلاثى ولإيضاح ذلك نقول : من الحقائق المعروفة أنه إذا خصص مبلغ محدد من المال لعدد محدد من الناس فلن يستطيع أى واحد منهم أن يزيد فى نصيبه إلا على حساب الآخرين ، فإذا أضيف شخص آخر إلى

---

(1) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 54.

(2) Berry, M (1975) vol. 1 P . 144.

عــدد الناس تناقص نصيب كل منهم وإذا استبعد واحـــــد منـــهم زاد نصيب الآخــرين ، كذلك الحــال فــى كل نظام، فلكل نظام مجـــال محدد من المعنى يشترك فيه عدد محدد من العناصر، فإذا أخذ عنصــر منها شريحة من المعنى أكبر أو أصغر مما أخذه غيره، فـــإن شــرائح المعنى التى تأخذها العناصر الأخرى تتأثر بذلك زيادة ونقصا. وبنــــاء على ذلك فإن عنصر الجمع فى نظام ثلاثى يفقد بعض نصيبه فى مجال المعنى، إذ يشاركه فيه المثنى، وإذ أسقط عنصر المثنى فى نظام ثلاثــى زاد مجال معنى الجمع. (١)

وبناء على ما قدمناه فإن للنظام ثـــلاث خصـــائص لا بـــدَّ منـــها مجتمعة هى :

١ – أنه مغلق على عدد محصور من العناصر.

٢ – أن اختيار واحد من عناصره يمنع اختيار آخر.

٣ – أن المعنى الوظيفى لكل عنصر من عناصره يعتمـــد علـــى معنى العناصر الأخرى فى النظام نفسه.

ويرى هاليداي فى هذه المرحلة أن الأصناف classesالمختلفـــة من العناصر يتفرع كل صنف منها إلى أنـــواع فرعية تمثل أنظمـــة(٢) فصنف المسند إليه مثلاً يتكون من أنواع كأن يكون ضميراً أو معرفـــاً

---

(1) Ibid , p. 145 f.
– Morley , G . D . (1985) p . 17
(2)Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 67

بأل أو مضافاً ، أو اسماً موصولاً أو مفرداً علماً ...الخ ومن الممكن حصر كل الأنواع التى تقع مسنداً إليه ، فإذا تم الحصر نشأ النظام.

ثالثا : المقاييس

وهى ثلاثة مقاييس تربط الفصائل بعضها ببعض : الرتبة ، والتحقيق، ومدى التفصيل.

الرتبة rank :

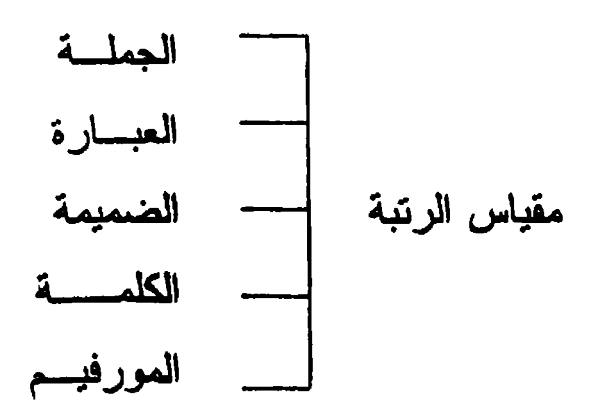
الرتبة مقياس ترتب عليه الوحدات النحوية ترتيباً هرميا.[١] وقد سلف القول إن هاليداي حدد خمس وحدات للنحو هى الجملة sentence، والعبارة clause، والضميمة group، والكلمة word، والمورفيم morpheme.[٢] ومقياس الرتبة rank scale هو قائمة بهذه الوحدات مرتبة على أساس من حجمها ووظيفتها كما يظهر فى الشكل الآتى:[٣]

---

(1)Butler, Ch. S. (1985) P . 16.

(٢)أخذ هاليداي على بلومفيلد مارآه من أن المورفيمات تتكون من فونيمات ، لأنه فيما يرى خلط بين الرتبة والمستويات ، فالمورفيمات وحدات على مقياس الرتبة النحوية ، والفونيمات وحدات على مقياس الرتبة الفونولوجية ٠ (انظر باتلر ص ٢٨ من المرجع السابق) ٠

(3)Berry , M. (1975) vol. 1 P . 104.



ويحكم ترتيبها على هذا النحو إذا اتجهنا من أعلى إلى اسفل العلاقة " تتكون من consist of " فالجملة تتكون من عبارة أو أكثر، والعبارة تتكون من ضميمة أو أكثر ، والضميمة تتكون من كلمة أو أكثر ، والكلمة تتكون من مورفيم أو أكثر ، فالعلاقة بين الجملة والعبارة هى نفسها التى بين العبارة والضميمة ، وهى نفسها التى بين الضميمة والكلمة ، وهى نفسها التى بين الكلمة والمورفيم.

وإذا اتجهنا من أسفل إلى أعلى فالعلاقة هى " تُكوِّن " constitute فالمورفيمات تكون الكلمات، والكلمات تكون الضمائم ، والضمائم تكون العبارات والعبارات تكون الجمل. [1]

ولما كان حديث هاليداي عن الرتبة وعن غيرها يفتقر في هذه المرحلة إلى الأمثلة التوضيحية ، ويميل إلى التجريد الشديد لدرجة يصعب معها على غير المتخصص متابعة ما يقول ، فقد حاول بعض الباحثين تقديم بعض الأمثلة التوضيحية من اللغة الإنجليزية،[2] ونحاول هنا أن نقدم المثال الآتى من اللغة العربية :

---

(1) Ibid , P . 105 f.

(2) Butler , Ch. S. (1985) P . 17.

كاد الزلزال يسقط بيتنا القديم

فهذه الجملة تتكون من عبارة واحدة ، والعبارة تتكون من الضمائم الآتيـــة :

١ - كاد ... يسقط

٢ - الزلزال.

٣ - بيتنا القديم.

والضميمة الأولى تتكون من كلمتين هما : كـــاد ويســقط وهـــى ضميمة غير متصلة discontinuous ، والضميمة الثانية تتكون مـــن كلمة واحدة هى الزلزال ، والضميمة الثالثة تتكون من كلمتين هما بيتنـا القديم، وكل كلمة تتكون من مورفيمين •

ومن الواجب التنبيه إلى أن الوحدة الواحدة قد تتكون من وحدة أو أكثر من الوحدة التى تليها[١] ، لكنها لا تتكون بحال من جـــزء مــن وحدة تليها ، وجزء من وحدة لا تليها، كأن تتكون العبارة مثـــلاً مــن ضميمـــة وكلمـــة أو من ضميمـــة ومورفيم ، ولا تتكون أيضـــاً مــن وحدة لا تليها مباشرة كأن تتكون العبارة من كلمة أو أكـــثر ، أو مــن مورفيم أو أكثر ، كذلك لا تتكون الضميمة من مورفيم أو أكثر. [٢] فهذا المقياس يتجه من الوحدات العليا إلى السفلى فحسب. [٣]

(1) Berry , M (1975) vol . 1 P . 105 f.

(2) Ibid , P . 106

(3) Halliday , M. A. K . (1961) in , Kress. G. (ed) 1976 P. 70

على أنه قد يقع فى التراكيب غير البسيطة وحدات تشمل مكوناتها وحدات من رتبة ليست أدنى منها فى مدى الرتبة ، بل تعادلهـــا فـــى الرتبة أو تكون أعلى منها رتبة ، وقد حلّ هاليداي هذا الإشكال بإجـازة ما أسماه نقل الرتبة rank shift [(١)] ففى المثال الذى قدمناه من قبل وهو " تحية من عند الله مباركة طيبة " ضميمة اسمية تشتمل على ضميمـــة جرية هى " من عند الله " لكنها نقلت هنا من رتبة الضميمة إلى رتبـــة الكلمة المفردة ، ولهذا جاز أن تشتمل عليها الضميمة.

ومن الممكن أيضاً أن تشتمل الضميمة على عبارة أعلى منها رتبة إذا كانت العبارة فى منزلة الكلمة الواحدة ، أى نقلها الاستخدام من رتبة العبارة إلى رتبة الكلمة. [(٢)] ففى نحو قولك : (رأيت بيوتاً أكـــل الدهـــر عليها وشرب) اشتملت الضميمة الاسمية "بيوتا أكل الدهر عليها وشرب " على عبارة " أكل الدهر عليها وشرب " وهى أعلى مـــن الضميمـــة رتبة، وقد جاز ذلك ، لأنها فى منزلة الكلمة المفردة وتقـــوم بوظيفتـــها فهى تعادل معنىً ووظيفةً قولنا قديمة أو بالية ، ولهذا فإن رتبتها نقلـــت من العبارة إلى الكلمة.

فكل وحدة إذن من الممكن أن تنقل رتبتها إلى رتبة وحدة أدنـــى منها أو ما يطلق عليه downward rank إذا كـــانت بمعناهـــا وقـــامت

---

(1) Ibid , P . 70 f .
- Berry , M.(1975) vol. 1 P. 107 f
- Butler, Ch . S. (1985) P . 16 f

(٢) انظر الأمثلة الإنجليزية التى قدمتها برى فى :

Berry, M. (1975) Vol.1 P. 106, 110

بوظيفتها ، لكن ليس من الممكن أن تنقل رتبة من الأدنى إلى الأعلى أو ما يسمى upward rank.[١]

التحقيق exponent :

التحقيق مقياس يجمع بين الفصائل categories ، ويربط كلا منها بالأخرى، وبالمادة اللغوية linguistic data ، فالفصائل تنتقل عبر هذا القياس من أقصى درجات التجريد إلى أقصى درجات التحقيق المادى الذى تظهر به فى شكلها النهائى المنطوق أو المكتوب، جامعة بين الجانبين المعجمى والنحوى.[٢]

وهذا المفهوم أقرب مفاهيم علم اللغة النظامى إلى النحو التحويلى ؛ إذ تتحول من خلاله البنية الباطنة إلى بنية ظاهرة على خلاف فى مفهوم البنية الباطنة بين المدرستين ، وفى الطريقة إلى تتحول بها إلى بنية ظاهرة[٣] فإذا أردنا أن نتتبع تحقيق جملة مثل " زيد يبنى بيتا "[٤] عبر مقياس التحقيق وجدناه يمضى على النحو الآتى:

---

(1) Butler , Ch. S. (1985) P . 17
- Robins, R.H. (1980) P 284
(2) Halliday , M.A.K. (1961) , in : Kress (ed) 1976 P . 71
- Butler, Ch. S. (1985) P . 28
(3) Berrr , M (1975) vol, 1 P . 196
(٤) انظر تحليل الجملة الإنجليزية الذى قدمه مورلى فى :
- Morley , G.D. (1985) P . 24.

ج # ← ص

ص ↙ عبارة

عبارة ← م س ت

م ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم علـــــم

اسم علم ↙ زيـــد

س ↙ ضميمة فعلية

ضميمة فعليـــة ← ك

ك ↙ ف ص (فعل دال على المفرد الغـــائب والزمن الحاضر)

ف ص ↙ يبنى

ت ↙ ضميمة اسمية

ضميمة اسمية ← ك

ك ↙ اسم (مفرد ، نكرة ، منصوب)

اسم ↙ بيتاً

(السهم ← = يتركب من ، والسهم ↙ = يتمثل فى)

ويمكننا الآن أن نوضح المراحل السابقة من التحقيق ، فأول ما يبدأ به هو تصور الجملة # ج # وهو يتمثل فى جملة خبرية بسيطة أصيلة (ص) وهذه الجملة تتمثل فى عبارة ، والعبارة تتركب من مسند إليه (م) ومسند (س) ومتمم (ت) ، والمسند إليه يتمثل فى ضميمة اسمية ، والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى اسم علم والاسم العلم يتمثل فى زيد.

والمسند يتمثل فى ضميمة فعلية ، والضميمة الفعلية تتركب من كلمة أساسية (ك) والكلمة الأساسية تتمثل فى فعل أصلى (ف ص) دال على المفرد الغائب والزمن الحاضر ، وهو يتمثل فى يبنى.

والمتمم (ت) يتمثل فى ضميمة اسمية والضميمة الاسمية تتركب من كلمة أساسية و الكلمة الأساسية تتمثل فى اسم مفرد نكرة منصوب وهو يتمثل فى (بيتاً).

مدى التفصيل delicacy :

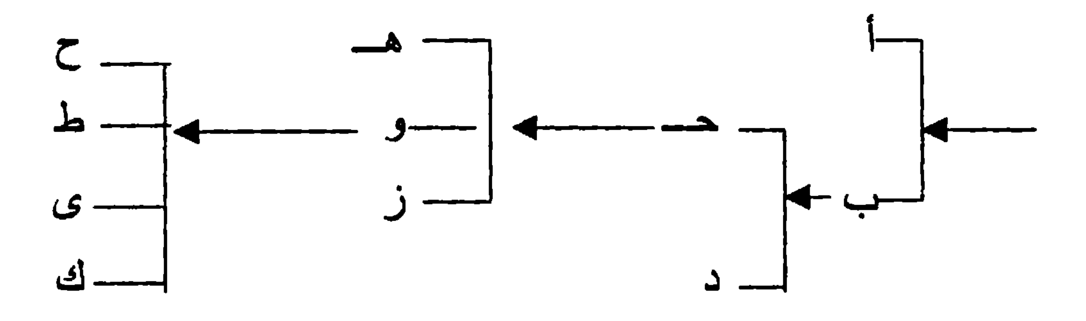
إذا كان مقياس الرتبة يبين علاقة الوحدات units بعضها ببعض، وإذا كان التحقيق يبين المراحل التى تتحول بها المعانى إلى أشكال لغوية منطوقة أو مكتوبة ، فانّ مدى التفصيل يبين علاقة الأنظمة بعضها ببعض. (١)

---

(١) Berry , M. (1975) vol. 2 P . 42

فإذا أخذنا نظاما من أنظمة اللغة وقسمناه أقساماً فرعية ، ثم تابعنا التفريع إلى أقصى مدى ممكن حيث يصبح من غير الممكن الوصول إلى تفريع آخر ، ثم رتبنا الأمثلة على أساس من درجة التفصيل التي تمثلها على مقياس يحدد درجة تفصيلها بالقياس إلى غيرها ، فهذا المقياس يسمى مدى التفصيل scale of delicacy .[١]

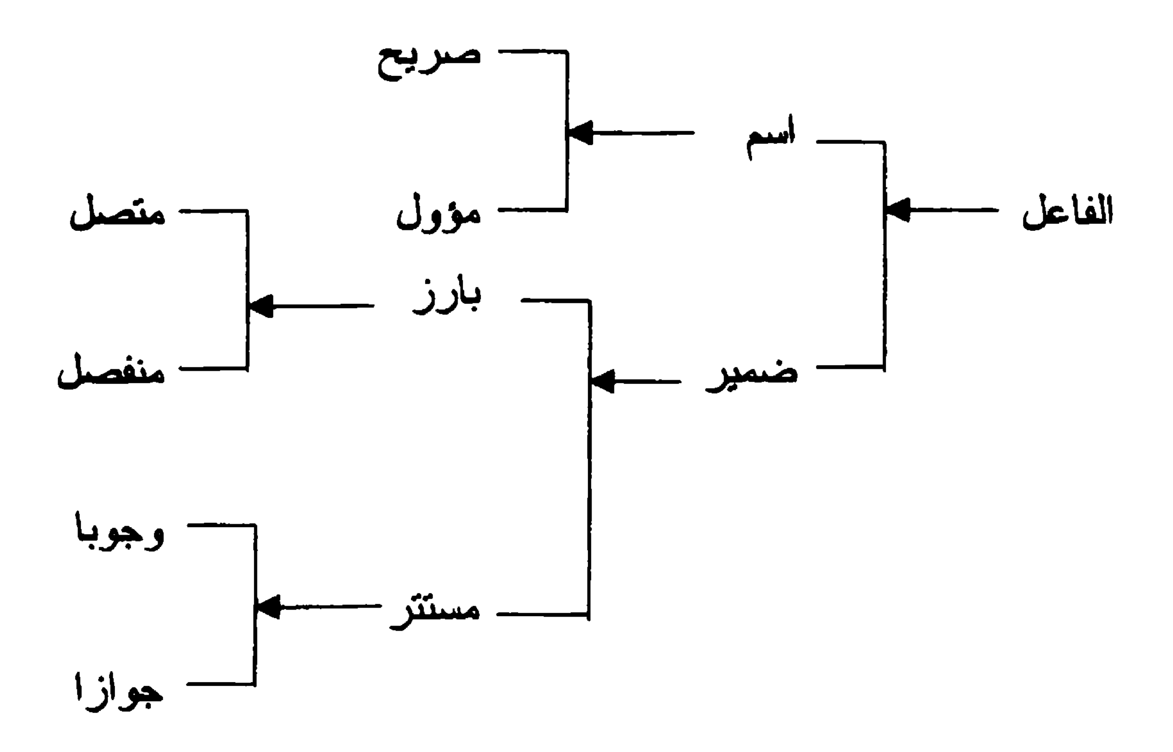
فإذا كان نظام ما يتكون من عنصرين هما أ، ب ، وكان أحدهما يتفرع إلى ج ، د ، ج يتفرع إلى هـ ، و ، ز كان النظام الفرعي الأخير أشدها تفصيلاً ، فإذا لم يمكن بعد ذلك تفريع أي من (هـ) و(و) و(ز) فقد وصلنا إلى نهاية مدى التفصيل ، على أن من الممكن أن يتزامن التفريع فقد يتفرع كل من أ ، ب إلى فرعين، فعندئذ يكونان على درجة واحدة من التفصيل،[٢] ويتضح ذلك من الشكل الآتي:



(1)Ibid vol. 1 P . 177

(2)Ibid, P. 180 f.

ويمكننا أن نقدم مثلاً توضيحيا من اللغة العربية هو نظام الفاعليـة كما قدمه نحاة العربية :



الفصل الثاني

النحو النظامى الوظيفى

شهدت المدّة من سنة ١٩٦٤م إلى نهاية العقد السابع من القـــرن العشرين تطوراً حاسماً فى النظرية اللغوية عند هاليداي،[١] ، فقـد أدرك الرجل ضرورة وضع علم لغة نظامى يتجاوز به نموذجـــه السـابق " المقياس والفصيلة ". وقد أفضى هذا إلى بزوغ نموذج أشدّ إحكاماً أطلق عليه النحو النظامى لما أصبح للنظام فى هذا النموذج من أهمية بالغـة. وقد تمثل هذا التطور فى أمرين أساسيين:

أحدهما : التوجه الوظيفى: وقد جعل هذا بعض البــاحثين يطلـق على نموذج هاليداي فى هذه المرحلة " النحـــو النظــامى الوظيفى Systemic Functional Grammar ".[٢]

الثانى : دمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعي مع اهتمـــام متنام بالظواهر الدلالية. ولهذا رأى بعض الباحثين أن مـا جاء به هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين مـــن الممكن أن يطلق عليه " النحو النظامى الوظيفى ذو التوجه الدلالى semantically oriented systemic functional grammar .[٣]

وقد نتج عن هذا فيما تلا ذلك من سنوات نموذج وظيفـــى غـير منبت الصلة عن نحوه النظامـــى ضمنه هاليداي كتابه الذى أصـــدره سنة ١٩٨٥ بعنـــوأن مدخل إلى النحو الوظيفى An Introduction to

---

(1)Butler Ch.S. (1985) P . 57

(2)Morley, G.D. (1985) P . v

(3)Butler Ch.S. (1985) P . 57

Functional Grammar ، وتميز به عن نموذجين وظيفيين آخرين هما: "النحو الوظيفى" الذى طوره سايمون دك S. C. Dike سنة (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) " والنحو الوظيفى التوحيدى " لكاى M. kay سنة (١٩٨٤، ١٩٨٥)، وإن جمع بينها التأثر بمدرسة " براغ "[1] وعلى الرغم من أنّ النحو النظامى عند هاليداي - كما سيأتى- كان يشتمل على مكونات وظيفية functional components وعلى الرغم من أن النظرية التى تكمن خلف نحوه الوظيفى نطرية" نظامية "، فقد حصر اهتمامه فى هذه المرحلة الثالثة من التطور فى الجانب الوظيفى من النحو ، أى فى تفسير تجسيد الأنماط النحوية للوظائف ، وصلة ذلك على وجه الخصوص بتحليل النص.[2] والنص عنده هو " كل ما يقال أو يكتب " وبؤرة الاهتمام هنا هى " اللغة فى الاستعمال language in use • والنحو الوظيفى عنده نحو طبيعى natural بمعنى أن كل شئ فيه يمكن إيضاحه بالإحالة إلى طبيعة الاستعمال اللغوى ، وهو على ذلك ليس نحواً شكليا بحال ، بل هو نحو استعمالى، الوظيفة فيه لا ترادف الشكل بل الاستعمال. [3]

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نتتبع تطور النظرية فى المرحلة الثانية التى تسبق ظهور كتابه " مدخل إلى النحو الوظيفى " الذى يعدّ

---

(1)Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991 P.141.

(2)Ibid, P 141.

(3)Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

إيذاناً ببدء المرحلة الثالثة من تطور هذه النظرية. وسوف نشير إلى ما أصاب بعض المفهومات السابقة من توسعة أو تطوير ، وما أضيف من مفهومات جديدة، وما أصبح الاهتمام به أقل مما كان.

أولاً : النظام وشبكاته :

رأينا فى الفصل السابق كيف كان النظام فصيلة من أربع فصائل أساسية فى نموذج " المقياس والفصيلة " ، وكان المقصود به مجموعة مغلقة من الاختيارات المتاحة فى مواقع معينة من التركيب انسجاماً مع مبدأ تعدد الأنظمة عند فيرث. (١)

وقد تطور هذا المفهوم تطوراً واضحاً فى هذه المرحلة ، فلم فلم يعد ، كما استخدمه هاليداي فى نموذجه المبكر ، مجموعة مفردة من الاختيارات ، بل تعدى ذلك إلى ما سمى شبكة النظام system network، وهو مصطلح يدل دلالة واضحة على تشابك العلاقات بين عناصر النظام الواحد من جهة ، وبين الأنظمة المختلفة من جهة أخرى. (٢)

وقد ذكر هاليداي أن نحو أية لغة هو فى الحق شبكة كبرى من الأنظمة المتشابكة ترتب فيها الأنظمة ترتيباً متدرجا hierarchical ، أو متزامنا semaltaneous ومعنى الترتيب المتدرج أن أى نظام يعتمد اعتماداً مباشراً على النظام الذى يقع على يساره (فى الإنجليزية) أو

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 40

(2)) Malmkjær,K.: Fanctional Grammar , in Malmkjær K, (1991) P.44

على يمينه (فى العربية) مباشرة ، على مقياس التفصيل ٠ والنظام السابق هو الذى يمدّ اللاحق بنقطة الدخول point of entry إليه ، ومعنى ذلك أن الاختيار من نظام ما غير ممكن إلا عن طريق عنصر مختار سابقاً من نظام أقل منه تفصيلا.[١]

وليس المقصود بالتزامن أن الاختيارات المتزامنة تتم فى اللحظة نفسها، بل المقصود به أن نظاميين مستقلين أو أكثر يقعان فى نقطة واحدة من مقياس التفصيل ، ولكل منهما شرط دخول واحد.[٢]

وشبكات الأنظمة تعمل فى إطار رتبة rank معينة للوحدة unit كرتبة العبارة مثلاً بوصفها نقطة منشأ point of origin وقد أصبح من الممكن ترتيب الأنظمة فى شبكات بعد أن وسع مفهوم التفصيل delicacy ليشمل العلاقات النظامية systemic relation [٣]وإيضاحاً لذلك نورد الآن تخطيطاً لشبكة نظامية.[٤]

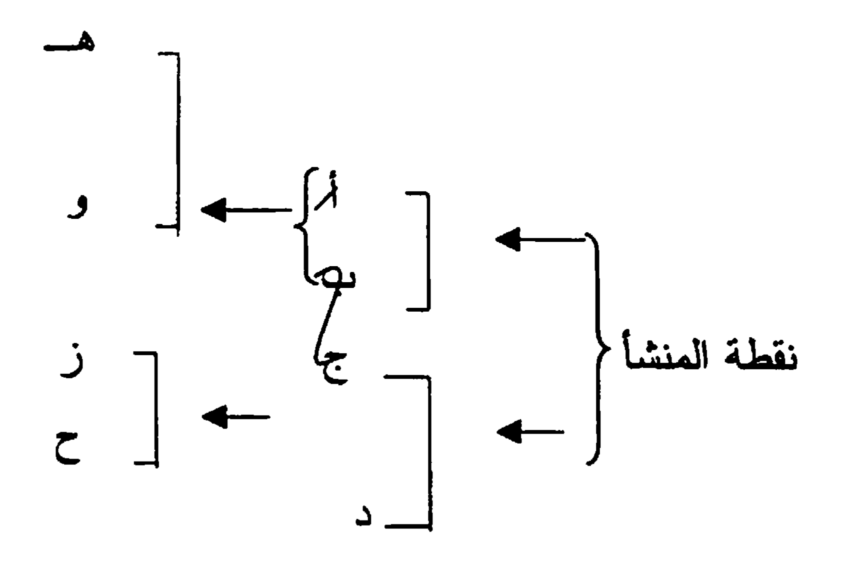
---

(1) Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976) P .92 f
- Butler, Ch.S.(1985) P. 40
- Berry, M. (1975) vol. 1 P. 179 f.

(2) Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G . (ed) 1976 p. 93
- Berry, M. (1975) P . 182 f

(3) Butler, Ch.S. (1985) P0 40

(4) Ibid , P. 41



هذا تخطيط لشبكة نظام تجريدية ذات نقطة منشأ معينة منها نظامان متزامنان هما أ/ب ، ج/د ، وعلاقة التزامن تظهر في مواجهة القوس { الدال على النظاميين المتزامنين ، والاختيار من كل من النظاميين المتزامنين محصور في أربعة تجمعات محتملة من العناصر هي: أج ، ب ج ، أ د ، ب د .

والعناصر المختارة من عبارة معينة أو ضميمة اسمية أو غير ذلك يشار إليها غالباً على أنها سمات features لتلك العبارة ، ويمكن لذلك أن نتحدث عن عبارة اختارت السمة " استفهامية " مثلاً ، أو ضميمة اختارت السمة مفرد ، وهكذا. وقد جرى العرف عند النظاميين بوضع السمة بين معقوفين [ ]، والسهم المتجه من السمة [أ] إلى النظام [هـ] / [و] ، ومن السمة [ج] إلى النظام [ز] / [ح] يشير إلى علاقة الاعتماد dependence relation ، فإذا اختيرت السمة [أ] من النظام [أ] / [ب] فإن الاختيار التالى يجب أن يكون بين [هـ] و [و] ، كذلك إذا اختيرت السمة [ج] فإن الاختيار التالى

يجب أن يكون بين [ز] و [ح] ، فالشـــبكة network تســمح بتسـعة تجمعات محتملة من السمات النظامية النهائيـــة terminal systemic feature هي :

[هـ ز]، [هـ ح]، [هــــ د]، [و ز]، [و ح]، [و د]، [ب ز]، [ب ح] ، [ب د]. (١)

وقد يكون الاعتماد بسيطا كما ظهر ، وقد يكون مركباً كما فـــي الشكل الآتي :

أ
ب
ج
د
هـ
و

فإذا أريد الدخول إلى النظام [هـ] / [و] فمن اللازم قبـــل ذلـك اختيار [أ] و [ج] معاً من النظام الخاص بكل منهما.(٢)

---

(1)Ibid, P. 41

(2)Ibid, P. 42

ولكى لا يظل الأمر فى حيز التجريد من الممكن أن نورد شـــبكة النظام الخاصة بالصيغة mood [1] فى اللغة العربيـــة ، وقـــد وجـــدت أستاذنا تمام حسان قد سبق إلى ما يمكن أن يكون تخطيطـــاً مختصـــراً لذلك [2]مما يثير عندى إحساساً قويا بأنه كان على صلة وثيقـــة بـــهذه النظرية ، وإن لم يفصح عن ذلك ، وسوف أعيد عرض ما قدمه علـــى نحو ينسجم مع تخطيط شبكات الأنظمة فى هذه النظرية ، وذلك علـــى النحو الآتى :

---

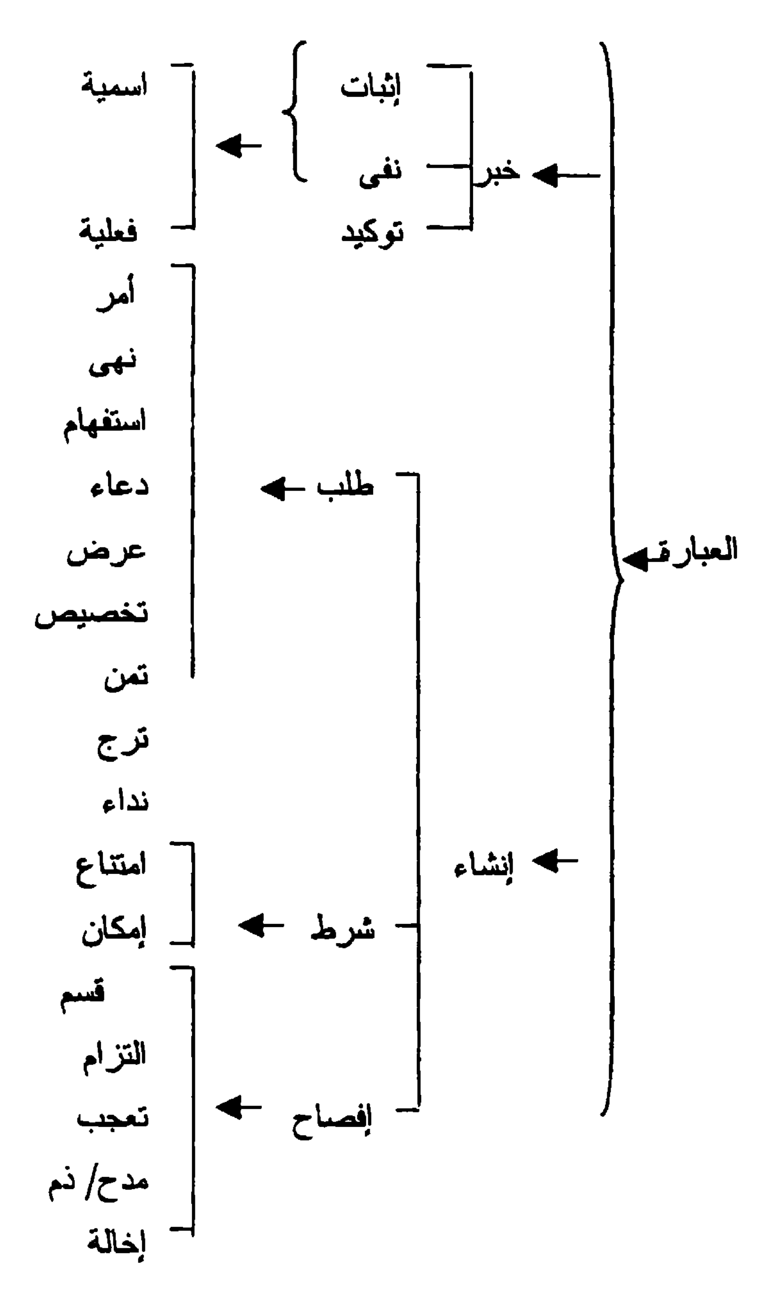
(١)انظر تخطيط هاليداي لها فى اللغة الإنجليزية فى :

- Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress, G. (1976) P. 93

– وانظر تخطيطا لشبكة نظام سيمية غير لغوية فى :

- Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London . p. 205 f .

(٢) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها (القاهرة ١٩٧٣) الجدول المقابل للصفحة ١٩١.



ويظهر فى الشبكة أنَّ نقطة المنشأ هى العبارة ، والمقصود بها الجملة البسيطة المستقلة التى تقوم على إسناد واحد ، فإذا اخترتها للتعبير كان عليك أن تختار بين أن تكون خبراً أو إنشاء ، فإذا اخترت أن تكون خبراً كان عليك أن تختار بين أن تكون إثباتا أو نفيا أو توكيداً، فإذا اخترت واحداً منها كان عليك أن تختار بين أن تكون العبارة اسميّة أو فعلية . وإذا اخترت أن تكون العبارة إنشاء كان عليك أن تختار بين

أن تكون طلباً أو شرطا ، أو إفصاحا ، فإذا اخترت أن تكون طلباً كان عليك أن تختار بين أن تكون أمراً ، أو نهيا ، أو استفهاماً أو دعاء ، أو عرضاً أو تحضيضاً ، أو تمنيا أو ترجيا ، أو نداء ٠ وإذا اخترت أن تكون شرطا كان عليك أن تختار بين الشرط الإمكانى والشرط الامتناعى ، وإذا اخترت أن تكون إفصاحاً كان عليك أن تختار بين القسم ، والالتزام ، والتعجب ، والمدح أو الذم ، والإخالة.

وواضح أن كل اختيار نظام له شبكته الخاصة به ، فمن الممكن أن نفصل القول فى نظام الاستفهام أو النفى أو الأمر ، أو التوكيد ، أو الشرط ٠٠٠ الخ ، وأن نرسم شبكته التى تحدد العلاقة بين عناصره ، وبين غيره من الأنظمة ٠ وواضح أيضاً أن اختيارك للخبر مثلاً شرط دخول إلى نظام الإثبات أو النفى أو التوكيد ، واختيارك لواحد منها شرط دخول إلى العبارة الاسمية أو الفعلية ، وكذلك اختيارك الدخول إلى نظام الأمر مشروط باختيارك للطلب بعد اختيارك للإنشاء ... وهكذا. ومن الممكن بعد ذلك أن نلفت إلى أمور نراها جديرة بالملاحظة:

١ - مفهوم شبكة النظام ينحرف درجة ما عن التفسير الفيرثى لمبدأ تعدد الأنظمة polysystemic principle على الرغم من أن ذلك لا يستلزم التخلى عنه فعند فيرث كانت بيئة الأنظمة environment of systems كلها رأسية paradigmatic ، وأن أنظمة فردية تختص بمواقع معينة فى التركيب. أما عند هاليداي فبيئة الأنظمة بعضها رأسى،

وبعضها أفقى.[1]

٢ - شبكة النظام تتألف من مجموعة من الإمكانات يحجب بعضها بعضاً ، فإذا اخترت واحداً منها امتنع اختيار الآخر، وهى من ثم تشتمل على ما اختاره المتكلم فعلاً ، وما كان من الممكن أن يختاره ، لكنه لم يختره.[2]

٣ - اعتماد نظم على أخرى محكوم بتحقق شرط الدخول من نظام إلى نظام يحدده ما بينهما من علاقات ، ومن خلال هذه العلاقات يمكن التنبؤ بأن سمات معينة يمكن اختيارها على حين لا يمكن اختيار سمات أخرى ، من هنا فإن اللانحوية ungrammaticality يمكن التنبؤ بها تنبؤاً صحيحا.[3]

٤ - كل شبكة نظام لا بدَّ لها من نقطة منشأ point of origin ، وهذه النقطة تؤخذ من رتبة معينة على مقياس التفصيل، وأكثر ما تكون عبارة أو جملة بسيطة، لكن يجوز أن تكون غير ذلك كالضميمة أو الصنف الاسمى فى

(1)Halliday M.A.K. (1966) , in : Kress,K.(ed) 1976 P. 91 f., 97
-Butler, Ch.S.(1985) p. 45
-Eggins,S.(1994) p.210
(2)Butler, Ch.S. (1985) P. 4
(3)Ibid, P. 45
- Berry, M. (1975) vol. 1 p . 184

الضميمة، وهكذا. [1]

٥ - اقتضى ترتيب الأنظمة فى شبكات أن يوسع مفهوم التفصيل delicacy فأصبح يشمل العلاقات النظامية systemic relations بعد أن كان مقصورا على العلاقات التركيبية structural reation . [2]

٦ - شبكة النظام غير محصورة open - ended ، وهى لا تقتصر على مستوى واحد من مستويات الوصف اللغوى ، بل تشملها جميعا، فهناك الشبكة الدلالية semantic netwak ، والشبكة النحوية grammatical ، والشبكة الصواتية (=الفونولوجية). [3]

٧ - شبكات النظام مأخوذة فى حقيقة أمرها من وظائف اللغة ، ومعبرة عنها ، ومن الممكن أن تؤخذ شبكة النظام من أكثر من وظيفة ، فمن خلال الوظائف تعبر الشبكات عن سياق الاستعمال. [4] فشبكة الصيغة التى ذكرناها على سبيل المثال مأخوذة من الوظيفة التبادلية

---

(1)Butler, Ch.S.(1985) p .40
- Eggins, S. (1994) P . 208
(2)Butler, Ch.S. (1985) P . 40
(3)parret, H. (1974)discussing Language, Mouton, the Hague, P.87
(4)Halliday, M.A.K. (1970), in : Kress, G. (ed)1976 P. 30
- Malmkjær, K. (1991) P . 449

. interpersonal function [1]

ثانيا : توسيع مفهوم التحقيق :

فى سنة ١٩٦٤ استعار هاليداي مصطلح التحقيـــق realization من سيدنى لامب sydeney M. Lamb الذى يعد مؤسس علـــم اللغـــة الطبقاتى (= التنضيـــدى) Stratificational Linguistics. [2]وكـــان لامب يرى أن التصورات العقلية تظهر فى صـــورة أصوات إنســـانية ، وأن اللغة جهاز فى جهة منه تقع التصورات العقلية التى اختزنها العقـل من العالم المحيط بنا ، وفى الجهة المقابلة تقع الأصوات اللغوية التـــى ينطقها المتكلم ليعبر بها عن هـــذه التصورات ، وهذا الجهاز يعمـــل متجها من التصورات إلـــى الأصوات فيمكن المتكلم من وضع الشـــفرة encoding ، كما يعمل متجها من الأصوات إلى التصـــورات فيمكـــن السامع من فـــك الشفـــرة decoding. [3] وقد رأى لامب أن هناك ست طبقات strata من العلاقات هى:

١ - الطبقة السيميمية العليا hypersememic stratum ، وهـــى أعلى الطبقات الست التى تقسم إليها اللغة ، وتشتمل علـــى الدلالات الكبرى.

---

(1)Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics. Vol. 4 P. 121

(2)Butler ,Ch.S.(1985) P. 51

- Mindt , D(1975) P . 126

(3)Mindt , D(1975) P . 126 f

٢ – الطبقة السـيميمية sememic stratum ، وتشـتمل علـى الوحدات الصغرى المجردة.

٣ – الطبقة اللكسـيمية lexemic stratum ، وتشـتمل علـى المفردات اللغوية.

٤ – الطبقة المورفيمية morphemic stratum : وتشتمل على مورفيمات اللغة.

٥ – الطبقة الفونيمية phonemic stratum : وتشـتمل علـى فونيمات اللغة.

٦ – الطبقة الصوتية hypophonemic وتشتمل على الأصـوات التى هى أقل من الفونيمات.

والعلاقة بين كل طبقة وأخرى أطلق عليها مصطلح " التحقيـق " فعناصر كل طبقة تحققها عناصر الطبقة التى تليها فنصل عبر الطبقات الست من التصورات العقلية إلى الأصوات الكلامية. [1]

وقد أفاد هاليداي من هذا التصور ، فرأى كما رأى لامب التحقيـق علاقة بين النظام الدلالـى semantic system والنظـام المعجمـى–النحوى lexicogrammatical system، ورتب ذلك أنّ "يمكن أن يقول can say" هـى تحقيق لـ" يمكن أن يعنى can mean" ، فالنحو هـو "ما يمكن للمتكلم أن يقوله " والتحقيق هـو "ما يعنيه المتكلـم بقولـه"،

(1)Ibid, P . 127

وعلم الدلالة يهتم بما " يمكن أن يعنيه المتكلم"، وما يمكـــن أن يفعلـــه المتكلم " تحقيق لما يمكن أن يعنيه ، لكنه تحقيق من نوع مختلـف إذ إن "ما يمكن أن يفعل " يقع خارق نطاق اللغة. وقد تجاوز ذلـــك، إلـــى أن هناك علاقة تحقيق بين النظام الدلالى وبعض المستويات السيمية العليـــا التى يمكن أن تســـميها إن شـــئت النظـــام الســـلوكى behavioural system.[1]

وقد وســـع هاليداي بنـــاء على ذلك شـــبكة الصيغـــة mood network لتشمل ما سمى من بعد الصيغية modality ، وقد وســـع أيضاً شبكة الموضوع المقدم tematization (بمعنـــى تقديـــم أحـــد العناصر ليصبح هو الموضوع) ليشمل الموضوع المركـب complex theme،[2] كما وضع قواعد للتحقيق realization rules ، منـــها : أن العبارة الإنجليزية إذا كانت غير أمرية indicative ذكر المسند إليـــه، وإذا كانت تقريرية declarative استخدم المسند تاليا للمسند إليـــه، وإن كان الموضوع theme غير موسوم unmarked ادمج المسند إليه مـــع الموضوع وقد قدم كل قواعد التحقيق من خلال ما أسماه حـــزم الأدوار الوظيفية bundles of functional rules.[3]

---

(1)Halliday , M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London P . 82
- Parrot , H . (1974) P.86
- Berry , M . (1977) Vol. 2 P . 50 , 128

(2)Butler , Ch.S. (1985) P 51 f

(3)Ibid. ,p.52

وينبغى اللفت إلى أن ثمة ترتيبا لقواعد التحقيق يحدده مقيـــاس التفصيل للسمـــات النظاميـــة المحققـــة ، فمثلا السمـــــة (غير أمرية) يجب أن تتحقق قبل (تقريرية)، أى أن الاختيار الأقــل تفصيلاً يتحقق قبل الاختيار الأكثر تفصيلا لكن الاختيارات المتزامنة يمكن أن تتحقـــق دون أن يشـــترط فيها ذلك. (١)

ثالثا : النحو الباطن deep grammar

استطاع هاليداي فى بحث له سنة ١٩٦٦ عنوانه: " **النحو الباطن: النظام اختياراً دلالياً**" أن يقدم تمييزا للجوانب الباطنة والجوانب الظاهرة للأنماط اللغوية تمييزاً يختلف اختلافاً بينا عـــن التميـــيز الـــذى قدمـــه تشومسكى ، واستخدم فيه تشومسكى مصطلحى هوكت Hockett البنية الظاهرة surface structure والبنية الباطنة deep structure . (٢)

لقد انطلق هاليداي من نقطة قدمها فى بحثه عن الفصـــائل ســـنة ١٩٦١ هى أن علاقة الترتيب order بين عناصر التركيب فى الوحـــدة المرادة مختلفة عن علاقة التسلسل sequence بين المحققات الســطحية للتركيب ، وهى أشدّ تجريداً منها وأعمق ، فالتسلسل ما هو إلا طريقـــة من طرائق كثيرة تتحقق بها العلاقات التركيبية ، من ثم فإن محققـــات الأصناف النحوية فى علاقاتها الأفقية التسلسلية تمثل المظهر الخـــارجى surface manifestation على حيـــن أن العلاقـــات التركيبيـــة بيـــن

---

(1)Ibid ,p.53

(2)Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976 p . 88

العناصر المجردة مثل المسند إليه ، والمسـند والتكملة ، والمسـتلحق تمثل البنية الباطنة للأنماط الأفقية أو التركيبية ، وكلتا البنيتين الباطنـة والظاهرة موصولة عند هاليداي بالتحقيق [١] فهو المعبر من هـذه إلـى تلك ، والتراكيب structures هى التى تمثل العلاقات الأفقية الباطنـة ، والأنظمة هى التى تمثل العلاقات الرأسية الباطنة. [٢] على أن العلاقـة بين المعنى المحتمل ، والمعنى المحقق فى النحـو النظـامى تختلـف اختلافـاً بينـاً عـن العلاقـة بيـن السـليقة competence والأداء performance فى النحـو التحويلى، فالنحو النظامى لا يميز إطلاقـا بين المعنى المحتمل وتحقيق هذا المعنى فى سياق محدد. إنه لا يفسـر المعنى المحتمل بوصفه " نمذجة " للمعرفة التى يحوزها ابن اللغة ، ولا يرى المعنى المحتمل ضرباً من البنية الباطنة deep structure يتطلـب تحويلات متعددة لإنتاجه فى البنية الظاهرة المستخدمة فعلا. فـالتحقيق فى النحو النظامى يمثل اختيار المتكلم من المحتمـل، ولـهذا فـالنحو النظامى نحو استعمال. [٣]

لقد اتخذ هاليداي خطوة من أكثر الخطوات حسـماً فـى تطـور نموذجه تتمثل فى القـول بـأن العلاقـات الرأسـية paradigmatic relations لا تقل فى أهميتها عن العلاقات الأفقية • وظاهر أن إعطاء هاليداي الأولوية للعلاقات الرأسية يخالف مخالفـة صريحـة الاتجـاه التحويلى التوليدى الذى يكاد يقصر اهتمامه علـى العلاقـات الأفقيـة

---

(1)Butler , Ch. S. (1985) p . 45

(2)Ibid , p 45 f

(3)Morley , G . D . (1985) p . 43 f

. syntagmatic relations[١]

ويقرر هاليداي أن النحو الباطن نحو دلالى سواء اعتبرنا الدلالـــة مدخلاً input وفاقاً للامب ، أم اعتبرناهـــا تفســيراً interpretation وفاقاً لتشومسكى ، وليس من شك عنـــده فــى أن الســمات النظاميـــة systemic Features ، وهى جـــزء من النحو النظامى ، وثيقة الصلة بعلم الدلالة.[٢]

لقد تمسك هاليداي منذ البداية ــ موافقاً فيرث ــ بأن العنـــاصر اللغوية ذات معنى، لكنه هنا يطالب مطالبة صريحة بأن يكـــون النحـــو انعكاساً للمعانى من خلال اختيارات من أنظمة ، ومجموع أنظمة اللغـــة هو الذى يكون نحوها الباطن.[٣]

رابعا : وظائف اللغة وفرضية المكونات الوظيفية :

عنى هاليداي بالإجابة عن السؤال : لم كانت اللغة على هذا النحو الذى هى عليه ؟،[٤] وكانت الإجابة عنده هى أن طبيعة اللغة تتصـــل اتصـالاً وثيقاً بما نريده منها ، وما نريده منها هو الوظائف التى تقوم بها اللغة من حيث هـــى نشـــاط اجتمـــاعى لإشـــباع الرغبـــات وتحقيـــق

---

(1)Malmkjær, K.:Systemic Grammar, in Malmkjær, K.(ed) 1991 p448
- Morley , G. D . (1985) p 42

(2)Halliday , M .A.K. (1966) in kress, G. (ed) 1976 p 94

(3)kress, G. (ed) 1976 p .xix

(4)Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975) P . 141

المتطلبات.[1] فليست وظائف اللغة إلا الطرائق التى يستعمل بها الناس لغتهم لإنجاز عدد من الأهداف المختلفة والأغراض المتباينة ، فوظائف اللغة فى أبسط معانيها مرادفة لاستعمالاتها. [2]

وقد أشار هاليداي إلى محاولات سابقة لتصنيف وظائف اللغة قام بها عدد من العلماء والباحثين [3]منهم مالينوفسكى (١٩٢٣) الذى قسم اللغة إلى فئتين كبيرتين إحداهما مقامية pragmatic ، والأخرى سحرية magical ، فقد كان الرجل بحكم كونه متخصصا فى علم الإنسان معنيا بالاستخدامات العملية والمقامية للغة فضلاً عن اهتمامه بالاستخدامات الطقوسية أو الدينية.

ومنهم كارل بيولر Karl Bühler (١٩٣٤) الذى اهتم بوظائف اللغة من وجهة نظر لا تعنى بالثقافة ، بل بالفرد، فميز بين ثلاث وظائف : تعبيرية expressive تتجه إلى النفس أى أنها منوطة بالمتكلم، ونزوعية conative وهى التى تتجه إلى المخاطب، وتمثيلية representational وهى التى تتجه إلى سائر الموجودات، أى إلى غير المتكلم والمخاطب.

وقد تبنت مدرسة براغ اهتمام بيولر بوظائف اللغة، ووسعها من بعد رومان ياكوبسون ١٩٦٠ فأضاف ثلاث وظائف أخرى هى الوظيفة

---

(1) Ibid , P 142

(2). (1990) p . 15

– Halliday , M .A.K & Hasan , R

(3)Ibid , P 15 ff

الشعرية poetic وتتجه إلى الرسالة message ، والوظيفة التعاملية transactional وتتجه إلى قناة الاتصال channel ، والوظيفة الماورائية أو الواصفة metalinguistic وتتجه إلى الشفرة code.

وذكر هاليداي أن جيمس بريتون J. Britton (١٩٧٠) وضع إطاراً يتألف من الوظائف التعاملية والتعبيرية والشعرية للغة ، وربط ذلك بقدرات الكتابة عند الأطفال ، فهى – فيما يرى – تتطور فى سياق تعبيرى متجهة إلى الكتابة التعاملية transactional ثم الكتابة الشعرية poetic .

وأشار هاليداي إلى أن ديزموند موريس D. Morris قدم سنة ١٩٦٧ تصنيفاً آخر لوظائف اللغة يتمثل فى الحديث الإخبارى informational talking والمزاجى mood ، والاستكشافى exploratory ، والمتلطف grooming ، فالأول يقوم على تبادل المعلومات ، والثانى وظيفته تعبيرية ، والثالث يؤدى وظائف جمالية ، والرابع ثرثرة مهذبة تستخدم فى المناسبات الاجتماعية ، وهو ما أطلق عليه مالينوفسكى من قبل اتصال المجاملة أو التودد phatic communicution.

وقد رأى هاليدى أنه على الرغم مما يبدو فى هذه التصنيفات من اختلاف فهناك تماثل كبير بينها ، إذ تسلم كلها بأن اللغة تستعمل لتحقيق أهدافى وأهدافك تعبيراً عن النفس وتأثيراً فى الآخرين ، ولفت إلى أن

هناك وظيفة أخرى تتمثل فى الجانب الجمالى أو التصوير المجازى.[1]

وقد مكنه النظر فى هذه الوظائف من القول بأن الوظيفة عنـــد هؤلاء تعادل الاستعمال ، بيد أنه أراد أن يخطو خطوة أخرى تتجـاوز ذلك إلى القول بأن وظيفة اللغة ليست مجرد استعمال لها ، بل هى بنيـة ذاتية أو أساس مكين من أسس تكوين اللغة ذاتـها لا بـدّ منـه لإدراك نظامها الدلالى على وجه الخصوص ، فالوظيفـة إذن ليسـت مجـرد استعمال للغة ، بل هى خاصية جوهرية للغـة نفسـها ومكـون مـن مكوناتها.[2]

من هنا تجاوز هاليداي ما قدمه سابقوه من تصنيفـات لوظـائف اللغة تتجه كلها اتجاهات اجتماعية أو نفسية إلى وصف لوظائف اللغـة يصلها بالنظام اللغوى.[3] فإذا فتشنا المعانـى الكامنة فى اللغة وجدنـا عدداً ضخما من الاختيارات تضمها شبكات مستقلة مـن الإمكانـات ، وهذه الشبكات تنسجم مع وظائف أساسية محـددة للغة ، وهذا يجعلنـا قادرين على أن نصف الوظائف المختلفة للغة من حيث إن لـها صلـة وثقى بالتركيب اللغـوى بدلاً من الاتجـاه بـها وجهـة اجتماعيـة أو نفسية.[4]

---

(1)Ibid , P 16

(2)Ibid , P 17

(3)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 142

(4)Ibid , P 142

لقد لحظ هاليداي سنة ١٩٦٨ أربعة مكونات وظيفية functional components أطلق عليها : المكون التجريبي experiential ، والمكون المنطقي logical ، والمكون الخطابي discoursal، والمكون الكلامي الوظيفي speech functional أو المكون التبادلي interpersonal ، ثم أعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فضم المكونين التجريبي والمنطقي تحت مصطلح جامع هو الوظيفة الفكرية ideational ، وأعاد تسمية المكون الخطابي ليصبح الوظيفة النصية textual وأبقى على المكون التبادلي مطلقاً عليه الوظيفة التبادلية.(١) ثم قدم تحليلاً للنصوص من خلال هذه الوظائف مستبدلاً بالوظيفة المعنى ، لأن الوظيفة عنده هي المعنى فتحدث عن المعنى التجربي والتبادلي ، والمنطقي ، والنصّي. (٢)

هذه المكونات الوظيفية هي التي يقوم عليها النظام الدلالي للغة ، فعلم الدلالة لا يقتصر على معاني الكلمات ، بل هو النظام الشامل لمعاني اللغة يعبر عنه بالنحو كما يعبر عنه بالمفردات ، والسلاسل النحوية نفسها تحتوي على كلا النوعين المعجمي كالأفعال والأسماء والنحو كأدوات التعريف ، والشرط والربط والإضافة ... الخ. (٣)

---

(1)Ibid , P.143.
- Butler , Ch.S. (1985) P . 74
(2)Halliday , M .A.K .& Hasan , R. (1990) P. 18 ff
(3)Malmkjær , K . (1991) p. 142
- Kress, K. (ed) 1976 P . xx

وسوف نعرض الآن لهذه المكونات ؛ لأنها مفتاح أساسـى مـن مفاتيح النظرية اللغوية عند هاليداي: [1]

١ ـ المكون الفكرى :

وهو تجسيد لخبرة المتكلم بعالم الواقـع سـواءً فـى ذلك العـالم الخارجى الذى يحيط به ، أو العالم الداخلى الذى يدور فـى أعماقـه ، ويمثل وعيه الخاص. [2]

هذا المكون الفكرى يتفرع كما أشرنا إلى مكونين فرعيين:

أحدهما : المكون التجريبى experiential :

وهو يعنى بـالتعبير عـن العمليـات processes والمشـاركين participants والظروف circumstances ، ونحو ذلك .

الثانى : المكون المنطقى logical :

وهو يزودنـا بالتعبير اللغوى عن العلاقات الجامعة universal relations ، كتلك التـى تكـون بالربـط co- ordination أو التفريـغ subordination أو الشـرط أو الإضافة أو البدل...الخ. [3] فنحـن نقـول مثـلاً نسـى الرجل المفتاح ثم عـاد ليأخـذه لكننا لا

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 46

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 143

(3)Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics no 4 P . 259

- Halliday , M .A.K . & Hassan , R . (1990) p . 18 f , 25 f

نستطيع أن نقـــول : عاد ليأخــذه ثم نســى الرجل المفتاح.(١)

٢ ـ المكون التبادلى :

وهو أولاً : تأسيس للعلاقات الاجتماعية social relations بيـــن الناس أو حفاظ عليهـا ، وذلك بفتح قنوات الاتصــال بينهم أو إبقائهـا مفتوحـة كالتحيـات والحـديث عن الطقس، أو السؤال عن الحال. وتبادل الأقوال فى هــذا المجال يجرى على أنماط من الصياغة مــن الممكـن توقعها، لا يكـاد يخرج عنها أحد، فذا خرج عنها عـدّ قوله شاذا أو خارجاً عن المألوف. (٢)

وهو ثانياً : وسيلة instrument للتأثير فى ســلوك الآخريـن ، وتوجيههم إلى أشياء معينة قولاً أو فعلاً ، كالرجـــاء ، والاستفسار، والنصح، والنـــهى، والتحذيـر والأمــر، والتهديد ٠٠٠ الخ. (٣)

وهو ثالثا : تعبير عن موقف المتكلم قبولاً أو رفضاً، أو ترجيحـا أو شكاً أو توقعاً أو اندهاشا أو آسفاً ... الخ. (٤)

---

(1)Morley, G.D. (1985) p . 44 f

(2)- Halliday , M .A.K . (1970), in : lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 20
- Morley, G.D. (1985) p . 44

(3)Morley, G.D. (1985) p . 45 f

(4)Ibid p . 46

٣ - المكون النصّ :

وهو المسئول عن تحقق المكونين السابقين من خلال نص text مناسب للسياق يتميز بالتماسك coherence والترابط cohesion ، ويجرى على أعراف أهل اللغة فى الاستعمال بحيث يجعل السامع أو القارئ قادراً على تمييز النص من مجموعة عشوائية من الجمل.[١] إيضاحا لذلك نسوق المقارنة الآتية بين قطعتين إحداهما غير جديرة بأن تسمى نصا والأخرى جديرة بذلك. [٢]

القطعة الأولى :

وجد زيد حقيبة فى الطريق. أخذ زيد حقيبة. سلم زيد حقيبة إلى قسم الشرطة. رجع زيد إلى بيته.

القطعة الثانية :

وجد زيد حقيبة فى الطريق فأخذ الحقيبة وسلمها إلى قسم الشرطة ، ثم عاد إلى بيته.

والقطعتان متماثلتان فى المكونين الفكرى والتبادلى ، لكنهما مختلفتان فى المكون النصّى ، فالقطعة الأولى تتجاهل حقيقة واضحة هى تكرار العناصر اللغوية ، فهى تعامل كل عنصر يذكر على أنه يذكر لأول مرة ، ولا تعنى بإقامة علاقة بين الجمل بعضها مع بعض،

---

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in :Lyons, J. (1975) p . 143
- Halliday , M .A.K . & Hasa n , R . (1990) p . 22
- Butler, Ch.s. (1985) P . 47
(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 119

أما القطعة الثانية فتستعمل أداة التعريف بعد أن صارت النكـــرة معرفة، وتستبدل بالاسم الظاهر ، الذى سبق ذكره ، ضميره ، وتستخدم وســائل للربط بين الجمل • من ثم كانت القطعة الثانية جديرة بأن تسمى نصا.

وقـــد يقـــوم المكـــون النصى بمهمـــة إبـــراز prominence عنصر معين فى النص من خلال الوســم markedness [1] كقـــولك: الله أســـأل لك التوفـــيق والســـداد أو قولـــه تعالـــى : **﴿أ أنت فعلـــت هذا ﴾**. (الأنبياء ٦٢).

ويؤكد هاليداي أنه ليس واحد من هذه المكونات أهم من الآخـــر ، ولا أشدّ تجريداً منه ، وليس منفصلا عن المكونـــات الأخـــرى ، بـــل تتداخل خيوطها جميعا مكونة نسيج النص ، فنحن لا نستطيع أن نقـــول إن لهذه العبارة مكوناً فكريا فحسب ، أو أن لتلك مكونا تبادليـــا فقـــط ، فالحياة على وجه العموم ليست كذلك ، ومن المؤكد أن اللغة ليست كذلك أيضا ؛ ففى كل نص تتعدد الوظائف والمكونات ، وما ينبغى أن ننظـــر إلى أى منها بمعزل عن الآخر بل ينبغى النظر إليها من جهات متعددة، كل جهة منها تسهم فى التفسير الكلى للنص أو الخطاب، وتلك طبيعـــة الاتجاه الوظيفى. [2] ويستخدم هاليداي أحياناً القياس علـــى الموســيقى متعددة النغمات polyphonic music لإيضاح ذلـــك، إذ تجـــدل فيـــها خيوط عديدة من النغـــم لإنتاج اللحن الموســيقى الكـــامل فـــى شـــكله النهائى، كذلك اللغة، كل خيط فى التركيب اللغوى مجدول مع واحد من

---

(1)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 120 f

(2)Halliday , M .A.K . & Hasan , R . (1990) p . 23

المكونات الوظيفية. [١]

ولما كان اتجاه هاليداي إلى النحو ذى التوجه الدلالى واضحاً منذ سنة ١٩٦٦ فما بعدها لم يكن غريباً أن تصبح العلاقات الوظيفية ذات التوجه الدلالى هى العناصر التى تكون خيوط التركيب فى كل مكون وظيفى، وأن تتمثل فى كل نمط من الأنماط المفاتيح فى النحو النظامى، وأهمها التعدية، والصيغة ، والموضوع ، وسوف نعرض لها الآن موجزين القول فيها :

التعدية transitivity :

التعدية مصطلح جامع يدل على التعبير اللغوى عن العمليات processes، وللعمليات أدوار وظيفية functional roles مختلفة تتمثل فى الحدث action والمشاركين فى العملية participants من أشخاص persons وأشياء objects ثم فى الظروف circumstances التى تقع فيها العملية ، شاملة الزمان ، والمكان ، والكيفية manner التى تتم بها[٢] ، وهى تدخل تحت ما أسماه هاليداي المكون الفكرى أو الوظيفة الفكرية. [٣]

والتعدية بجوانبها الثلاثة الأساسية: العملية، والمشارك، والظرف تطابق ثلاثة أصناف من الكلمات أو الضمائم موجودة فى أغلب لغات

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P . 48

(2)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 146 f

(3)Ibid p . 145

العالم هى الفعل verb والاســـم noun والظـــرف adverb • وفـــى الإنجليزية تعبر الضمائم الفعلية عن العمليات ، والضمائم الاسمية عـــن المشاركين، والظروف عن الأحـــوال والظـــروف circumstances ، ويدخل فى الظروف adverbs الضمائم الجريـــــــةprepositional phrases . [١]

وكل عبارة تختار بين ثلاثة أنواع من العمليات: [٢]

١ – العمليات الفيزيائية physical أو المادية material ، مثـــل غرس زيد شجرة، رمى على الكرة.

٢ – العمليات الذهنية mental مثل : عرف زيد الحق.

٣–العمليات العلاقية مثل: زيد هو القائد، ومثل زيد قائد شجاع.

وواضح من المثالين اللذين ذكرناهما للعمليـــات العلاقيـــة أنـــها نوعان: تعادلية equative كما فى المثال الأول ، فزيد هـــو القـــائد ، والقائـــد هو زيـــد ، ونعتيه ahributive كما فـــى المثـــال الثانـــى إذ إن زيداً فيه واحد مـــن صنف القادة الشجعان. والعمليات الذهنيـــة لا يمكن وصفها بمصطلحـــى الفـــاعل actor والمفعـــول goal، بـــل بمصطلحى القائم بالعملية processor والظاهرة phenomenon • أما فى العمليات الفيزيائية أو المادية فيجوز الوصف بمصطلحـــى الفـــاعل

---

(1)Ibid p . 146 f

(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f

والمفعول.[1]

والعبارات التى تختار العملية المادية تختار بعد ذلك بين عبارة لها مشارك واحد متأصل inherent ، أى فاعــل منطقى agent ، وعبارة لها مشاركان اثنان ، أى فاعل منطقـــى ، ومفعول به . والمشـــارك إما أن يكون عاقــلاً أو غير عاقل كما فى نحـــو : ســبح زيــد مــن الشاطــئ إلى الجزيرة ، ونحــو : انســاب الجدول ، ونحو: غســلت هند الثياب ونحو قطعت السيارة المسافة فى زمن قصير. والعبارة التــى تتم بالفعل فيها تسمى المتوسطة middle ، والتى يحتاج الفعـــل إلــى مفعول به تسمى غير المتوسطة non – middle.[2]

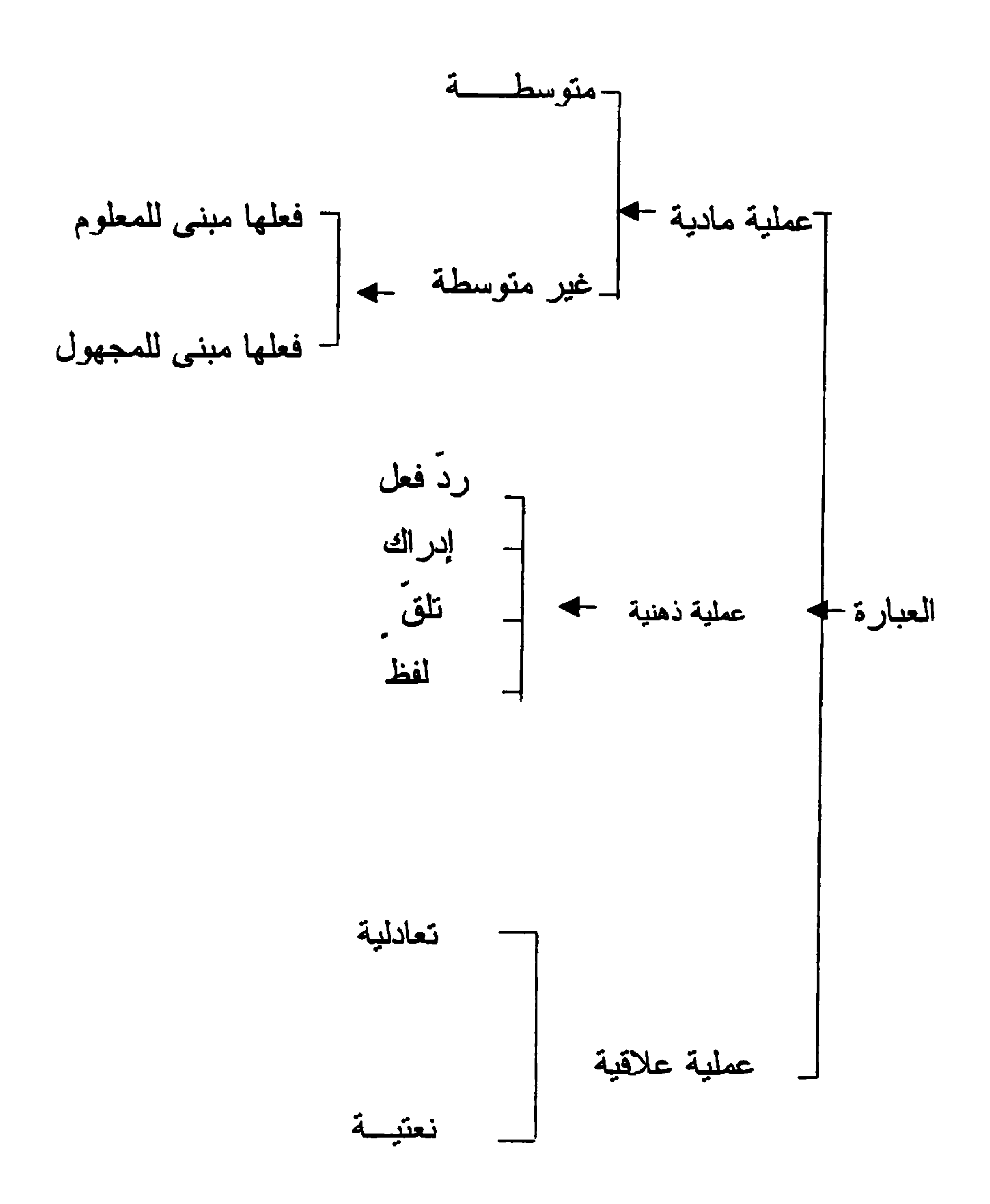
والعبارات التى تختار العملية الذهنية تختار بين ردّ الفعل مثـــل: قرر زيد إصلاح خطئه، والإدراك مثل: فهم زيد المسألة ، والتلقى مثل: سمع زيد ضوضاء، والتعبير اللفظى مثل قلت كلاماً مفيدا.[3]

والعبارات التى تختار العمليات العلاقية تختـــار بيـــن التعادليـــة equative والنعتية attributive.[4] ومن الممكن أن نعرض ذلك فـــى شبكة مبسطة جدّاً على النحو الآتى :[5]

---

(1)Morley, G.D. (1985) p . 55
(2)Berry , M . (1977) vol . 2 p . 9 f
- Morley, G.D. (1985) p . 50 ff
(3)Morley, G.D. (1985) p . 57
(4)Ibid p . 55

(٥)انظر الشبكة المعقدة فى :
- Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976) p . 110


متوسطـــــة
عملية مادية
فعلها مبنى للمعلوم
غير متوسطة
فعلها مبنى للمجهول
ردّ فعل
إدراك
تلقٍّ
لفظ
عملية ذهنية
العبارة
تعادلية
عملية علاقية
نعتيـــة

الصيغة mood :

تظهر الوظيفة التبادلية أو المكون التبادلى إن شئت واضحاً جليا فى نظام الصيغة.(1) وأنظمة الصيغة mood systems تميز ابتـداءً ـ إذا طبقناها على اللغة العربية – بين الخبر والإنشاء(2) فالخبر ماله واقـع يطابقه والإنشاء ما ليس واقع يطابقه ، والعبارة التى تختار الخبر يمكـن أن تقوم باختيار آخر بين الاثبات أو النفى أو التوكيد، فإذا اختارت النفى فقد تختار بعد ذلك أن يكون النفى عامـــا أو محـــدوداً ، وإذا اختـــارت التوكيد فقد يكون لمضمون الجملة أو لأحد عناصرها ۰ وإذا اختـــــارت الإنشاء فقد يكون طلبيا أو غير طلبى ، فإذا كان طلبيا فالاختيـــار بيـــن الأمر صريحاً أو ضمنيا والنهى صريحاً أو ضمنيا ، والاستفهام تصوراً أو تصديقاً ، والدعاء والنداء والتمنى ، والعرض والتخصيـــــص. وإذا كان غير طلبى فالاختيار بين الشرط والإفصاح ، فـــإن كـــان شـــرطا فالاختيار بين الإمكانى والامتناعى، وإن كان إفصاحاً ، فالاختيار بيـــن القسم صريحاً أو غير صريح والالتزام والتعجـــــب ، والمـــدح والـــذم والإخالة. وليس لموقع المسند إليه فى العبارة العربية أثر فـــــى معنـــى الصيغة أما فى الإنجليزية فوقوع المسند إليـــه subject قبـــل الفعـــل المطابق له يجعل العبارة إخبارية declarative، ووقوع الفعـــــل قبـــل المسند إليه يحقق الاستفهام الذى إجابته نعم أو لا. أما الاستفهام الـــــذى يبدأ ب - wh فالمسند إليه فيه يقع قبل الفعل إذا كان كلمة اســـــتفهام ،

---

(1)Butler , Ch . S . (1985) P . 49

(٢) انظر ص ١٢٤ من هذا البحث.

فإن لم يكن وقع الفعل قبل المسند إليه . أما فى صيغة الأمر من نحو Go away فقد اختار هاليداي أن يعدّ غياب المسند إليه حالة من حالات حذف ellipsis المسند إليه، ذلك بأنه مفهوم من الكلام وإن لم يصرح به ، فالسامع يدركه عقلا، لكن غيابه دليل على أن العبارة أمر.[١]

وقد لفتت برى إلى أن نظام الصيغة يدخل الجمل الفرعية كما يدخل الجمل الأصلية ففى الجملة الإنجليزية :

Shut th window or the house will be freezing by the evening

اختارت جملة shut the window عنصر الأمر من النظام أما الجملة الفرعية التالية فقد أتيح لها اختيار جديد فاختارت عنصر الإخبار. وكون الجملة الأصلية أمراً أشير إليه بعدم التصريح بالمسند إليه، وكون الفرعية إخباراً أشير إليه بذكر المسند إليه مقدما على الفعل المطابق له.[٢]

ويشير هاليداي إلى أنّ هناك ثلاثة أنواع من المسند إليه فى العبارة الإنجليزية: سطحى أو نحوى وهو مأخوذ من المكون التبادلى، وعميق أو منطقى حين يكون هو فاعل الحدث وهو عندئذ مأخوذ من المكون الفكرى ، ونفسى حين يكون هو الموضوع أو المتحدث عنه

---

(1)Halliday , M .A.K . (1985) P . 74.

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 147.

theme وهو مأخوذ مـن المكون النصى.[١]

الموضوع theme :

المقصود بالموضوع هـو الجزء الذى أريد إبرازه prominence توكيداً له ، أو اهتماما به أو جعله نقطة انطلاق إلى غيره، أو إحالـة إلى عنصر سبق ذكره.[٢] ويكون إبرازه بنقله إلى الموقـع الأول فـى العبارة والنقل إلى الموقع الأول من العبارة يسمى الوسـم markedness فإذا كان العنصر يشغل الموقع الأول فى العبارة أصالة فلا وسم من ثـم كان هناك فرق بين الموضوع الموسوم وغير الموسوم ، فالأول يقـدم من تأخير ، والثانى يقع فى الموقع الأول أصالة فى الجملة الإنجليزية ، وهو الذى يطابق المسند إليه ، أما الأول فلا يطابق المسند إليـه فقـد يكون مفعولاً به أو ظرفا أو جارّا ومجروراً أو غير ذلك من متممـات الإسناد أو مستلحقاته.[٣]

وللمكون النصى دور فى تركيب الرسالة ، والرسالة تتكون مـن موضوع ومحمول ، واختيار العنصر الموسوم لـه وظيفـة تماسـكية cohesive تلفت الانتباه إلى العنصر الذى وضع فى غير موضعـه ، وعلاقته بالعناصر الأخرى ، كما تتصل بتقسيم عنصرى القضيـة إلـى معلوم Given وهو ما يفترض المتكلم أن السامع يعرفه ، وجديد New

(1)Halliday , M .A.K . (1970), in : Lyons, J. (1975) p . 159 f

(2)Berry , M . (1975) vol . 1 p . 161 , 165

(3) Ibid , p . 163

وهو ما يرد المتكلم الإخبار به أو يفترض أن السامع لا يعرفه. [١]

علم الدلالة الاجتماعي : sociological semantics

ظل هاليداي فى العقد السابع من القرن العشرين وفيـــا للـــتراث الفيرثى الذى يرى اللغة وثيقة الصلة بالحيـــاة الاجتماعيـــة للإنســـان ، فالنظام اللغوى لا ينفصل بحال عن السلوك الاجتماعى والتفاعل الثقافى، فعلم اللغة عند هاليداي لا يجعل أكبر همه المعرفة المختزنة فـى رءوس الناس كما هى الحال فى علـــم اللغة التشومسكى ، بـــل اللغـــة فـــى تفاعلهـــا الحى بين أفراد جماعة بشرية. [٢]

ويرى هـــاليداي أن علـــم الدلالـــة الاجتمـــاعى ملتقـــى أصيـــل لأيديولوجيين لغوية واجتماعية ، فإمكانات المعنى لها جانب لغوى تحققه اختيارات من النحو والمفردات ، ولهـــا جانب اجتماعى تحققه أنمـــاط السلوك التى هى تعبير عن التركيب الاجتماعى. [٣]

لقد كان من أهم خصائص علم اللغة عند هاليداي فـــــى أواخـــر العقد السادس من القرن العشرين توجهه الوظيفى ، وفى العقد الســـابع حاول أن يدمج الاتجاه الوظيفى فى الاتجاه الاجتماعى مع اهتمام متزايد

---

(1)Butler . Ch. S . (1985) P . 50

(2)Halliday , M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London p . 13

(3)Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London p . 64 f .

بمركزية المعنى وتعليم الطفل لغته القومية. [1]

إن كلاً منا - بوصفه عضواً فى مجتمع ثقافى معين وتركيب اجتماعى محدد - يتاح له مدى من الإمكانات options السلوكية يتمثل فيما يسمى السلوك الكامن behavioural potential، هذا السلوك الكامن يتكون من " ما يمكن أن نفعل " وهو يشمل السلوك اللغوى كما يشمل السلوك غير اللغوى[2]وما يريد هاليداي أن يدرسه هو ماذا يمكن أن نفعل باللغة " وهو يساوى عنده " ماذا يمكن أن يقصده المتكلم" من بين مدى متاح له من المعانى المحتملة ، وهذه المعانى المحتملة تعد تحقيقاً لجزء من السلوك الأعلى الكامن higher behaviour potential، والمعانى الاحتمالية، أو قل الاختيار منها يتحقق بدوره فى صيغ واقعية هى العناصر المعجمية والمبانى التركيبية على النحو الذى يمكن للمتكلم أن يقوله. [3] وعلى ذلك فعلم الدلالة الاجتماعى يمكنه الصعود إلى شبكة الإمكانات السلوكية التى هى خارج اللغة. والهبوط إلى نحو اللغة ومعجمها. ومن الممكن أن نعرض هذه العلاقات على النحو الآتى: [4]

---

(1) Butler , Ch.S. (1985) p . 58

(2) Ibid , P 58

(3) Ibid , P 58

- Halliday , M .A .K . (1973) p . 51

(4)Butler , Ch . S. (1985) p . 59.

يمكن أن يفعل	يمكن أن يقصد (= يعنى)	يمكن أن يقول
يتحقق بـــ	يتحقق بـــ	
السلوك الكامن	السلوك اللغوى الكامن	الاستخدام النحوى المعجمى المحتمل

المدخل input الاجتماعى إلى علم الدلالة هو إذن مجموعة من المواقف والأوضاع ، والمخرج output اللغوى يمثل بمفهوم المكون الوظيفى شبكات التعدية ، والصيغة ، والموضوع ، والمطلوب هو المطابقة بين شبكات الدلالة الاجتماعية ، والنحو المعجمى، ولن نتوقع تطابقاً حرفيا واحداً لواحد بين الإمكانات الدلالية والنحوية، بل قد يعبر عن واحد منها بعدد من السمات النحوية المعجمية فى وقت واحد. (١)

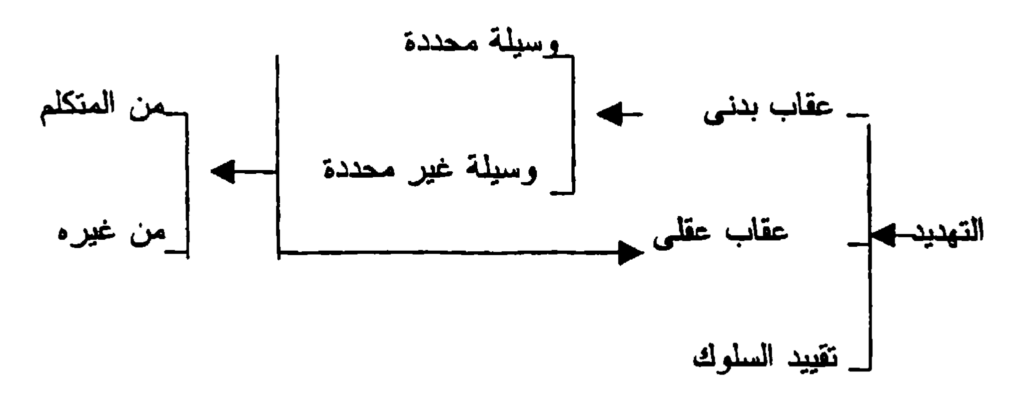
لقد ناقش هاليدى نفسه السياق الاجتماعى لتحكم الأم فى الطفل بالوسائل اللغوية المتاحة للاستنكار disapprobation معتمداً فى ذلك على معجم روجيه الموضوعىّ Roget's thesaurus ، (٢) وسوف نكتفى هنا بعرض جزء من الشبكة خاص بالتصنيف الفرعى لتهديد الأم لطفلها. (٣)

---

(1)Ibid , p. 60

(2)Halliday , M .A .K . (1973) p . 58 – 62

(3)Butler , Ch . S. (1985) p . 61.



وأمثلة التهديد تصسفها الشبكة والمرتبطة بقواعد التحقيق ، وهـى كلهـا قد تكون مصحوبة بشرط صريح مثل : إذا فعلت ذلـك ... أو : إذا فعلت ذلك مرة أخـرى ، أو : إذا استمررت فـى فعل ذلك ...

- فسوف أصفعك (عقاب بدنى، وسيلة محددة، من المتكلـم).
- فسوف يضربك أبوك (عقاب بدنى ، وسيلة محددة ، من غـير المتكلم).
- فسوف أغضب عليك (عقاب عقلى ، من المتكلم).
- فسوف يغضب عليك أبوك (عقاب عقلى، من غير المتكلم).
- فلن تلعب الكرة بعد الآن (تقييد للسلوك)٠

وقد اتضح فى أعمـال هاليداي منذ منتصف العقد السابع مـن القـرن العشريـن مفهـوم النظـأم السـلوكى الأعلـى higher behavioral system ، وأصبحت المعانى الكامنة فى لغـة مـا ، أى نظامها الدلالى ، تحقيقا لمستوى أعلى من العلاقات التى تنتمـى إلـى

السيمية الاجتماعية[1] وكان لنظرية اللغـــة بوصفـــها تحقيقـــاً للســـيمية الاجتماعية عناصر عديدة أدمجها هاليداي فى نمـــوذج لغوى اجتمـــاعى عام، وهذه العناصر هى: النص ، والموقـــف ، واللغـــة الخاصـــة ، والشفرة، والنظام اللغوى، والتركيب الاجتماعى • وسوف نعرض لـــهذه العناصر الآن عرضاً موجزاً :

النص : text :

عنى هاليدى فى أعماله المتأخرة عناية بالغة بالنص بوصفه واحداً من أهم المفاهيم فى نموذجه النحوى • والنـــص عنـــده هـــو الوحـــدة الأساسية لعلم الدلالة ؛ إنه فى علم الدلالة بمنزلة الجملة فى علم النحو ، والفونيم فى علم الصواتة (الفونولوجى)، [2] ولذلك ينبغى ألا يعدّ النص توسعاً فى مدى الرتبة صعوداً من الجملة إلى النص فيصبح وحدة تعلـــو الجملة أو جملة عليا supersentence ، فهو ليس وحدة تركيبية ، بـــل هو وحدة دلالية لهـــا تركيبهـــا الخاص. [3]

من هنا كان من غير الجائز أن يحدّد النص على أســـاس مـــن حجمه أو طوله، كأن يقال إنه أكبر من الجملة، أو اطول منها؛ فقد يكون من القصر بحيث يتكون من جملة واحدة ، وقد يكون من الطول بحيـــث

---

(1)Ibid , p 62

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p.109

- Parret, H . (1974) p. 101

(3)Halliday , M .A .K . (1978) .p . 109

يكون رواية كاملة ، أو ما قيل فى ندوة ، أو اجتماع لجنة [١] وليس من المقبول أيضا أن يقال إن النص يتكون من جمل، بل الأقرب إلى القبول أن يقال : إنه مشفر encoden فى جملة أو أكثر ، وإن شئت الدقة فهو وحدة دلالية تتحقق بوحدات معجمية نحوية أو تشفر فيها ، وهذه الوحدات النحوية المعجمية تتحقق بدورها فى وحدات صواتية (=فونولوجية) أو خطية (= كتابية) ، أو تشفر فيها [٢] وعلى ذلك ليست وظيفة النص مقيدة بتأسيس علاقات بين الجمل ، وليس من المستطاع معالجة نظرية النص على أنها توسعة لنظرية النحو. [٣]

وليس تحديد النص معضلة ، فكل متكلم طبيعى أو كاتب يدرك أن ما يقوله أو يكتبه نص من النصوص ، فالنص لا يعدو أن يكون رسالة يراد إبلاغها ، والرسالة وحدة دلالية متماسكة ، فإذا تمت الرسالة فقد اكتمل النص ، ولا تكون سيطرة كل من المتكلم والسامع والكاتب والقارئ على لغته كاملة إلا إذا استطاع أن يميز بين النص text و اللا نص non-text ، أو بين الوحدة الدلالية المتكاملة المتماسكة معنى وصياغة وبين مجموعة عشوائية من الجمل لا يجمع بينها جامع ، ولا يربطها رابط كالأمثلة التى تساق فى كتب النحو إيضاحاً لقاعدة أو تدريباً عليها ، أو قائمة الكلمات التى ينتظمها المعجم [٤] ولا يكاد المرء

---

(1)Butler, Ch.s. (1985) p. 63

(2)Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London P . 23

(3)Halliday, M.A.K. (1990) p . 10

(4)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p. 1 f
- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 10

يواجه فى التفاعل اللغوى الحىّ بظاهرة اللا نص ، فاللانص محض هراء non-sence لا يلتفت إليه أحد ، ولا يعتد به سامع أو قارئ.[١] والنص يتميز عن اللانص بخاصية النصّية texture التى تقوم على ركنين أساسيين هما : التماسك الداخلى internal cohesiveness وسياق الحال context of situation الذى " يكبسل" فيه النص أو يتجلى فيه.[٢]

وللنص فضلا عن ذلك خاصيتان أساسيتان إحداهما أنه نتاج product بمعنى أنه مخرج output ، أى أنه شئ يمكن تسجيله ودراسته ، وله تركيب معين يتمثل فى منظومة من العناصر • والثانية أنه عملية process اختيار دلالى • إنه حركة خلال شبكة من المعانى الممكنة محكومة بنظام دلالى وتركيبى ، ومهمة عالم اللغة هى الجمع بين هاتين الخاصيتين للنص ، وربطهما كليهما بمفهوم النظام الذى يكمن خلفهما.[٣]

والنص من الوجهة السيمية الاجتماعية حدث تفاعلى interactive event ، ولذلك فالهيئة الأساسية التى يتخذها النص هى الحوار القائم dialogue على التفاعل بين المتكلمين والمخاطبين ، ولا يعنى هذا أن الحوار أهم من الأنواع الأخرى من النصوص ، و إنما الملحوظ أنه يرتبط بالمحادثة العفوية التى يقوم بها الناس كل يوم ، لذلك فهو النوع

---

(1)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1980) p.23.

(2)Ibid , P. 2 f

- Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p. 11

(3)Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1990) p . 10 f

الذى يستثمر فيه الناس كل موارد اللغة ومصادرها ، ويتمثل فيه نـــوع الموقف الذى يرتجلونه أو يبتكرونه ، وهو أيضـــا المجـــال الخصـــب للتطور أو التغير اللغوى غير الواعى فى أية لغة. [1]

الموقف : situation

الموقف عند هاليداي هو البيئة التى يولد فيها النص[2]وهو بـــهذا المعنى مفهوم مستقر فى الدرس اللغوى منذ زمن بعيد يرجع على الأقل إلى س نة ١٨٨٥[3]لكن ما يريد أن يضيفه هنا هو التنبيه إلى أن المراد بالموقف ليس العناصر المادية المحيطة بالحدث الكلامى ، وليس هـــو مسرح الأحداث المصاحبة للنص التى يمكن تسجيلها صوتـــاً وصـــورة لكنه مفهوم مجرد ، ينبغى تصوره لا على أنه موقف ، بل على أنـــه نمط موقف type of situation بـــالمعنى الـــذى يشـــير إليـــه برنشتايـــن بالســـياق الاجتمـــاعى social context [4]،وهـــذا هـــو المقصود أساساً بما يسمى التركيب السيمى semiotic structure ٠ إنه النجم القطبى الذى تدور حوله معانٍ مشتقة من النظام الســـيمى الـــذى يكون الثقافة. و لا سبيل إلى إدخال هذا المفهوم فـــى نظريـــة لغويـــة اجتماعية عامة إلا إذا كان على هذا النحو من التجريد ، فهناك خـــواص عامة لكل موقف تتحدد بها الصيغ الدلالية التى يستخدمها المتكلم فى هذا الموقف على وجه الخصوص، ومن ثم يستطيع السامع أن يقوم بتنبؤات

---

(1) Ibid , P . 10

(2) Halliday , M .A .K & Hasan , R.(1978) p . 109

(3) Ibid , P . 109

(4)Ibid , P . 109

بما يمكن أن يقصده السامع.[١]

والتركيب السيمى لنمط الموقف مركب من ثلاثة أبعاد أشرنا إليها قبلاً هى : المجال field ، ونوع المشاركة tenor والصيغة mode وهذه الأبعاد ليست أنواعاً من استعمالات اللغة ، وليست مكونات للحدث الكلامى ، بل هى إطار مجرد يعرض من خلاله السياق بوصفه بنية سيمية يمكن من خلالها أن يتبادل الناس المعانى.[٢]

لغة الموقف : register :

تتنوع اللغة بتنوع وظائفها ، وتختلف باختلاف المواقف التى تستخدم فيها ، والمصطلح الذى يطلق على تنوع اللغة على أساس من تنوع المواقف هو لغة الموقف.[٣] على أن هذه التنوعات ليست هامشية marginal ، أو خاصة special ، بل هى تشمل مجتمعة المدى الكلى لنشاطنا اللغوى.[٤]

ودراسة لغة الموقف محاولة للكشف عن الأسس العامة التى تحكم هذا التنوع ، وبهذا يمكن الوصول إلى الأنماط الموقفية التى تحدد السمات اللغوية.[٥]

---

(1) Ibid , P . 110

(2)Ibid , P . 110

(3) Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London p. 32.

(4) Halliday, M.A.K. et al (1964) P.89.

(5)Halliday, M.A.K. (1974) P.32.

لغة الموقف إذن مجموعة فرعية Subset مـــن المعـــانى الكليـــة المحتملة تحققها سمات لغوية تعبر عن موقـــف معيـــن تشـــترك فيـــه مجموعة متجانسة من الناس كرجال القانون أو المهندســـين أو رجـــال الدين ، أو التجار أو أصحاب الحرف والمهن المختلفة ، أو من تجمعهم هوايات أو نشاطات مشتركة كمشجعى كرة القدم أو هواة جمـــع طوابـــع البريد، من خلال قيم المجال ونوع المشاركة والصيغة.

ولغة الموقف تتميز عن اللغة العامة بخصائص صوتية ، وصرفية ونحوية ، ودلالية. وما ينبغى الخلط بينها وبيـــن خـــواص مســـتعمليها اللهجية أو المحلية ، فاللهجة تنوع لغوى خاص بالمستعمل user لغـــة الموقف تنوع لغوى خاص بالاستعمال use. وما ينبغى الخلط بينها وبين لغة كاتب أو شاعر، فهذه تميز شخصا عن غيره، وتلك تميز فئة عـــن أخرى. (١)

على أن هاليداي مال فيما بعد إلى أن تكون السمات المميزة للغـــة الموقف سمات دلالية اتساقاً مع انتقاله إلى نظرية تقوم علـــى أســـاس دلالى دون إغفال لنمط السياق الاجتماعى أو الثقافى الذى تقع فيـــه. (٢) إنها عنده المعنى المحتمل الذى يمكن الوصول إليه فى موقف اجتمـــاعى محدد. (٣)

---

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p . 110
- Berry, M (1975) Vol. 1 p.2.
(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 111
(3)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

الشفـــرة code :

تأثر هاليداي بالنظرية الاجتماعية التى وضعها عـــالم الاجتمـــاع الإنجليزى بازل برنشتاين (١٩٢٤ ــ)،[١] وهى نظرية تعنى بعناصر الثبات فى المجتمع وعناصر التغير وليست مجرد نظرية فى الإخفـــاق التعليمى educational failure كما أشار إليها أحيانـــاً ،[٢] ويشـــغل الجانبان التعليمى واللغوى فيها جزءًا لا يستهان به ، وكان أهم ما عنـــى به ربط الإخفاق التعليمى بالاخفـــاق اللغـــوى linguistic failture ، وربط الإخفاق اللغوى بالطبقة الاجتماعية social class.[٣]

وقد ميز برنشتاين فى ذلك بين نوعين من الشـــفرات : موســـعة elaborated code ، ومقيدة restricted code فالشـــفرة المقيـــدة لا يستخدمها إلا المنتمون إلى الطبقة العاملة ، وهى تتميز بخواص لغويـــة أهمها فقر المفردات، وعدم الوضوح نسبيا ، والميل إلى استخدام ضمير الغائب والمخاطب أكثر مـــن استخدام ضمير المتكلم ، والإكثـــار مـــن الأسئلة التذييلية tag questions ، وحركـــات الجســـم المصاحبـــة ، والاعتماد على السياق. و أبناء هذه الطبقة يشتركون فـــى اهتماماتـــهم، ومن الممكن التنبؤ بأنماط السلوك اللغوى الذى يقومـــون بـــه إشـــباعاً

---

(1)Kress . G . (1976) P . xxi

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p . 101

(3) Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV Language: The scio – cultural context. Coabridge University press. P.45.

لوظائف لغوية محددة. [١] أما الشفرة الموسعة فيستخدمها المنتمون إلـى الطبقة العليا في المجتمع ، وهى تميل إلى الوضوح ، والإكثـار مـن استخدام الجمل المركبة ، والصفات ، والاستدلال المنطقى فوق أنه من العسير حصرهم فى اهتمامات محـددة ، أو توقـع سـلوكهم اللغـوى والاجتماعى أما أبناء الطبقة المتوسطة فعندهم القدرة على استخدام كلتا الشفرتين والجمع بين خصائصهما. [٢]

وعلى الرغم مما أثارته أفكار برنشتاين من جدل ، وما وجه إليها من نقد،[٣] وعلى الرغم من أن هاليداي نفسه يعارض بعضها فقد تـزود منها بمفاهيم اقتنع بأن من الواجب الاستعانة بها فى أى تفسير للغـة أو تحليل لها. وكان من أهم المفاهيم التى أفاد منها مفهوم الشفرة code ، فالشفرة عنده كما هى عند برنشتاين ، تنظيم سيمى يسيطر على اختيـار المعانى عند المتكلم وتفسيرها عند السامع ، وهى المتحكمة فى الأساليب الدلالية للثقافة ، وهى تتحقق من خلال لغة الموقف rigester ، لأنـها هى التى تحدد التوجه الدلالى للمتكلمين فى سياق اجتماعى محدد. [٤]

---

(1)Ibid P . 54.
- Halliday , M .A .K. (1978) p . 111 f
- Richards , J.C- platt,J.- platt, H. (1993) p.57.

(2)Richarols, J.C. et al (1993) P . 57

(3)Guy, G.R. (1995) P . 55

(4)Halliday , M .A .K. (1978) P.111

والشفرة عند هاليدى تساوى ما يمكن قوله ، وهو لذلــك يرفــض التفرقة بين الشفرة واستعمال الشفرة ، ويرفض من ثمَّ تفرقة تشومسكى بين السليقة competence والأداء performance ، ويرى هذه الثنائية مضللة ؛ لأنها لا تعدو أن تكون تفرقة بين ما يستطاع وصفه ، وما لا يستطاع. (1)

وهو يرى أن الإخفاق التعليمى مشكلة اجتماعية لكن لــها جانبا لغويا يمكن أن نبدأ فى فهمه إذا أحطنا بالبيئة الثقافية للمتكلــم ، فليس الجانب اللغوى هنا معنيا به الإخفاق فى تحصيل بعض قواعــد النحو والصرف والمفردات ، لكنه إخفاق فى إدراك وظائف اللغــة ، فــالذى يفرق بين شفرة وأخرى هو الوظائف المختلفة التى يقوم بها كل منها،(2) فالشفرات ــ كما رآها برنشتاين ووافقه هاليداي ــ هى استراتيجيات مختلفة للاستعمال اللغوى ، لكنها عند هاليداي ليست مرتبطــة بطبقة معينة ، بل يستوى فيها كل إنسان سوى. (3)

التركيب الاجتماعى social structure

هو شكل معين من أشكال مجتمع معلوم يعد مصدراً للعديد مــن المكونات الاجتماعيةِ اللغوية التــى أشــرنا إليــها قبــلاً ، فــالتركيب الاجتماعى هو الذى يحدّد أى أنماط السياق الاجتماعى له أهمية مركزية كالمجال field ، ونوع المشاركة ، والصيغة mode ، وأيها هامشــى ،

---

(1)Halliday , M .A .K. (1970) , in Lyons, J . (1975) p . 145.

(2)Halliday , M .A .K. (1978) p. 24 f

(3)Ibid P . 57

وهو الذى يحدد الشفرات المطلوبة للغة الموقف ، وهو يختلــــف عــن النظام الاجتماعى ، إذ إنَّ الاخير هو الذى يشمل العلاقـــات التفاعليــة جميعها ، فهو من ثمَّ مساوٍ للثقافة culture.[1]

ويؤكد هاليداي أن التركيب الاجتمــاعى ليــس خلفيــة زخرفيــة ornamental background للتفاعل اللغوى كما يميل إلى ذلك بعــض الذين يناقشون المسائل اللغوية الاجتماعية ، لكنه عنصر أساســى فــى تطور الأنظمة والعمليات الدلالية.[2]

ويرى هاليداي أن ثمة ثــلاث طرائــق ينــدرج بــها الــتركيب الاجتماعى فى النظرية اللغوية الاجتماعية :[3]

الأولى : أن يعطى مغزى للأنماط المتنوعة من السياق الاجتمـاعى الذى تتبادل فيه المعانى٠ وما شبكات الاتصال التى تحـدد ما أسماه هاليداي نوع المشاركة tenor إلا نتاج للـتركيب الاجتماعى ، وهــو أيضاً الذى يخلق المجال field الـذى يدور حوله الحديث ، والصيغــة mode أيضــاً أو قنــاة الاتصال التى يتحقق من خلالها لغة وأسلوبا ٠

الثانية : أن يحدد الأنماط الحميمية للاتصال ويميز بينــها وبيــن الأنماط الرسمية من خلال الوسيط اللغوى ، وأن يحـــدد أيضاً أشكال التهيئة الاجتماعية socialization للطفل.

---

(1)Butler, Ch.S. (1985) P. 68

(2) Halliday , M .A .K. (1978) p. 114

(3) Ibid , P . 113 – 114

الثالثة : وهى أكثرها تعقيداً أن يدخل من خلال الهرمية الاجتماعية social hierarchy فى شكل فئة اجتماعية caste أو طبقة اجتماعية class وتلك هى الخلفية الاجتماعية للهجات التى هى المظهر المباشر للهرمية الاجتماعية ، والتى هى أيضاً التعبير الرمزى symbolic expression عنها .

النظام اللغوى :

يتضمن النظام اللغوى عند هاليداي النظام الدلالى . والنظام الدلالى يطابق عنده ما أطلق عليه لامب الطبقة الدلالية semological stratum بمعناها الوظيفى لا المعرفى.(١)وقد أصبح النظام اللغوى عنده مؤلفاً من طبقات ثلاث، مؤثراً استعمال الطبقة stratum على المستوى level ، وهذه الطبقات هى : الطبقة الدلالية semantic stratum ، والطبقة المعجمية النحوية lexico- grammatical stratum، والطبقة الصواتية phonological stratum . (٢)

فالطبقة الدلالية تتألف من المكونات الوظيفية للمعانى التى تظهر فى كل استعمال للغة فى كل سياق اجتماعى مجدولة معاً لتكون النص وهى المكونات الفكرية ideational ، والتبادلية interpersonal ، والنصّية textual وهى تعدّ مكونات النظام الدلالى ، وليست مجرد

---

(1)Halliday , M .A .K. (1978) p. 111

(2) Morley , G.D. (1985) P . 48

وظائف للغة تطابق الاستعمالات. [١]

والطبقة المعجمية النحوية تمدنا بقواعد النحو والصرف والمعجم اللازمة لصياغة النص ، فيتحقق بها المخرج output الدلالى. [٢] وهذه الطبقة هى التى تفسر لنا الطريقة التى يعبر بها عن المعانى • وتنعكس مكونات المعنى على النظام المعجمى فى هيئة شبكات منفصلة من الاختيارات ، ففى العبارة clause مثلاً يتمثل المكون الفكرى فى التعدية ، والمكون التبادلى فى الصيغة mood ، والصيغية modaity، والمكون النصى فى مجموعة من الأنظمة يشار إليها مجتمعة بالموضوع theme. من هنا كان التنظيم الوظيفى للمعانى فى اللغة يؤسس نواة النظام اللغوى من حيث هو تنظيم للطبقة المعجمية النحوية. [٣]

أما الطبقة الصواتية فهى تمدنا بأنماط التنغيم ، ونبر الإبراز prominence stress ، وأنماط الأصوات ، وغير ذلك مما هو لازم لتكوين أصوات النص. [٤]

وربما يبين الرسم التوضيحى المبسط الآتى تناول هاليداي العلاقة بين هذه الطبقات التى تكون النظام اللغوى ، والعلاقة بينها وبين لغة الموقف والسياق. [٥]

---

(1) Halliday, M.A.K. (1978) P.112.

(2)Morley , G.D. (1985) P . 48

(3)Halliday ,G.A.K. (1978) p. 112

(4)Morley , G.D. (1985) P .49

(5) Ibid, P .49

	السياق	لغة الموقف
النظام اللغوى	المعنـــى	علم الدلالة
	الصياغـــة	نحو معجمى
	البنية الصوتية	صواتــــــه
	الأصوات	علم الأصوات

تلك كانت مكونات الصورة الكلية للغة من حيـــث هـــى تحقيـــق للسيمية الاجتماعية وهى تتآلف جميعاً مكونة نموذجا وظيفيا اجتماعيـــا يغلب علية التوجه الدلالى، وهو النموذج الذى أصبح يمثل النظرية فـــى هذه المرحلة من تطورها.

خاتمة

أرجو أن يكون ما قدمت فى هذا الكتاب قد حقق المأمول منه تعريفاً بهذه النظرية اللغوية التى لم يكتب لها ما كتب لغيرها من الذيوع والانتشار فى العالم العربى خاصة على الرغم مما تتميز به من ضبط منهجى، وتواؤم مع طبيعة اللغة ، وقابلية للتطبيق على اللغة العربية تقصر عن بلوغ غايتها نظريات أخرى كالنظرية التحويلية التوليدية التى بلغ الاهتمام بها فى العالم العربى حدّاً لم تبلغه نظرية أخرى مع ما فى تطبيقها على اللغة العربية من مشكلات عويصة لم تستطع محاولات الباحثين الدائبة حلها.

وقد كنت حريصا طوال البحث على إيراد الأمثلة من اللغة العربية إشعاراً بيسر تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية ، حتى يتاح لى أو لغيرى دراسة اللغة العربية من خلال ما قدمه هاليداي من أسس منهجية، وطرائق فى التحليل ، فهاليداى نفسه يرى أن أية نظرية ليست جديرة بأن تسمى نظرية إلا إذا أمكن تطبيقها على كل اللغات.

ولعلّ أيسر ما يمكن البدء به هو تحديد أنظمة النحو العربى فى ضوء ما قدمه الرجل من ضبط منهجى لمفهوم النظام ، ثم بيان علاقة كل نظام منها بالآخر ، وكيف يعمل مع غيره ، وتجميع هذه الأنظمة فى شبكات كبرى ، وكيف تعمل كلها فى إطار نظام أعظم يمكن أن يسمى نظام الأنظمة وهو اللغة • وكل هذا ميسور لمن شاء الإقدام عليه، لأن فى نحونا العربى بيانا لا يشوبه لبس أو قصور لهذه الأنظمة

لمن يستطيع أن يجمع شتاتها ، ويستوفى أجزائها ، ويستكشف خصائصها ، ويستبين علاقة كل نظام منها أجزاءها، وكيف تعمل كلها في وقت واحد لإنتاج المظهر اللغوى مسموعاً أو مكتوباً.

ولعل مما يستلفت النظر أننى لم اعثر على بحث واحد كتب باللغة العربية عن هذه النظرية مع شدة طلبى له ، وسعيى للوصول إليه، على كثرة الدارسين للنظريات اللغوية المعاصرة ، والباحثين فى مدارسها المختلفة ، اللهم إلا ما ورد عنها فى كتاب مترجم عن المدارس اللغوية، مع أن المرحلة الأولي من هذه النظرية اتضحت معالمها منذ بداية العقد السادس من القرن العشرين ، أى أنه انصرم من عمرها قرابة أربعين عاما من البحث الدائب الذى قدمه هاليداي ، وشاركه فيه عديد من زملائه وتلامذته ، لا يكاد يحصيهم عدّ ، ووَجَدتُ من يطبقها على لغات كثيرة غير الإنجليزية . على أنى عثرت بعد جهد على كتاب عنوانه " أهم المدارس اللسانية " نشره المعهد القومى لعلوم التربية بتونس سنة ١٩٨٦ فلما تصفحته وجدته خلوا من هذه النظرية ، وإن تناول أحد المشاركين فيه وهو عبد الحميد كون مدرسة لا تمت إلى هذه النظرية بصلة هى المدرسة النفسية النظامية psycho systematique التى تسمى أيضا النفسية الآلية psycho- mecanique لجوسناف جيوم.

ولست أزعم أننى بهذا البحث وفيت النظرية حقها، فالاحاطة بما كتبه هاليداي وصحبه لا يستطيع القيام به باحث فرد، وقد كان هدفى منذ البداية التعريف بهذه النظرية، و إبراز مكانتها بين النظريات اللغوية المعاصرة، وتتبع مصادرها العلمية، ونشأتها، وتطورها وبيان أسسها

المنهجية، ومناهجها التحليلية لفتـا للباحثين إلى العناية بنظرية تسـتحق العناية بها، وحفزا لهم على الإفادة منها فى دراسة اللغة العربية وتجديد النظر فيها فى ضوء فكر لغوى مغاير لما شاع.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

ب - الأجنبية :

1 - Berry, M. (1975): An Introduction to Systemic Linguistics I Structures and Systems. B.T. Bastford London and Sydney.

2 - Butler, Ch.S.: 1985 Systemic Linguistics . Theory and Applications London.

3 - De Beaugrande, R. (1991) : linguistic Theory. The Discourse of fundamental Works. Longman.

4 - Eggens, S (1994) An Introdnction to Systemic Functional Linguistics. Pinter publishers. London .

5 - Firth J .R . : (1957) Papers in Linguistics 1934 – 1951 , Oxford University press.

6 - Firth J.R. : Sound and Prosodies, in : Jones,W.E & lover, J.(eds) 1979 linguistics A book of Reading (longman).

7 - Firth, J.R. The Tongues of Men and speech. London (1964).

8 - Gardner, T. Einführung in die moderne englische phonologie. Heidelberg 1975.

9 - Guy, G.R.: Language and social class, Newmeyer, F.J. (1995): Linguistics: in : the cambridge survey. IV

Language: The scio–cultural context. Coabridge University press.

.10 - Halliday, M.A.K (1961): Categories of the theory of grammar, in: Kress,G.(ed) (1976):Halliday:System and Function in Langage . Oxford Universtiy press London

11 - Halliday, M. A .K: (1964) : Discriptive Linguistics in Literary Studies (Duthie , A (ed) : English Studies Today : Third Series. Edinburgh University Press.

12 - Halliday , M .A.K .(1964) : English system network in : Kress, K . (1976).

13 - Halliday , M .A.K. (1966) : Deep grammar : system as semantic choice, in : Kress, G (ed) 1976.

14 - Hallidany , M . A . K . (1969) : A brief sketch of systemic grammar in : Kress , G. (ed) : Halliday : System and Function in Language . Oxford University Press 1976.

15 - Halliday , M .A.K . (1968) : Notes on transtivity and theme in English . part 3 . Journal of Linguistics.

16 - Halliday , M .A.K . (1970) : Language Structure and Language Function , in: Lyons, J. (ed.) , (1975).

17 - Halliday , M.A.K (1985) An Introduction to Funtional Grammar. Edward Arnold , London . P : v

18 - Halliday, M . A . K : Language Structure and Language Function , in : Lyons , J. ((ed) 1975 : New Horizons in Linguistics . Penguin Books .

19 - Halliday, M.A.K(1966):Deep grammar:system as semantic choice, in : Kress. G.(ed) (1976).

20 - Halliday, M.A.K. (1975) : learning How to mean – explorations in the Development of Language . Edward Arnold – London.

21 - Halliday, M.A.K. (1971): Language in social perespective, in : Halliday , M.A.K(1973): Explorations in the function of language , Edward Arnold. London.

22 - Halliday, M.A.K. (1973) : Explorations in Functions of Language . Edwar Arnold. London.

23 - Halliday, M.A.K. (1974): Language and social man. Long man London.

24 - Halliday, M.A.K. (1978) : Language as social semiotic . Edward Arnold . London.

25 - Halliday,M.A.K.& Hasan, R(1990): Language, context and Text : Aspects of Language in Social-semiotic Persective. Oxford.

26 - Helbig, G. 1981 Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen.

27 - Kress, G. (1976) : Halliday : System and Function in Language . London.

28 - Levinson, S.C. (1983) Pragmatics. Cambridge University press.

29 - Lyons , J . (1996) : Linguistic Semantics . An Introduction.

30 - Lyons, J (1977): Semantics. Cambridg University Press. Vol. 2.

31 - Lyons, J.:(1962) Phonemic and non –phonemic phonolgy : some typological reflections, in :Jones, W.E & Lover, J.(1979).

32 - Lyons, J: Firth's Theory of "Meaning" in: Bazel, C.E. – Catford, J.C. – Hallidany, M.A.K. – Robins, R.H.: (eds.) 1966. In Memory of J.R. Firth. Longman.

33 - MacArthur, T.C (1996): The Oxford companion to the English Language. Oxford University Press.

34 - Malmkjær, K. : Scale and Category Grammar, in : Malmkjær K.(ed) 1991 The Linguistics Encyclopedia. Routledge. London- New York.

35 - Malmkjær, K.: Functional Grammar, in Malmkjær, K. (ed) 1991.

36 - Martin, J.R.: Systemic Grammar, in : Bright, W . (ed)1992. International Encyclopedia of Linguistics.

37 - Mindt, D. (1975) Sprachtheorie M.A.K . Hallidays , in : Moderne Linguistik. Düsseldorf .

38 - Morley, G.D. (1985):An introduction to Systemic Grammar. Macmillan Publishers. Hong Kong .P.V

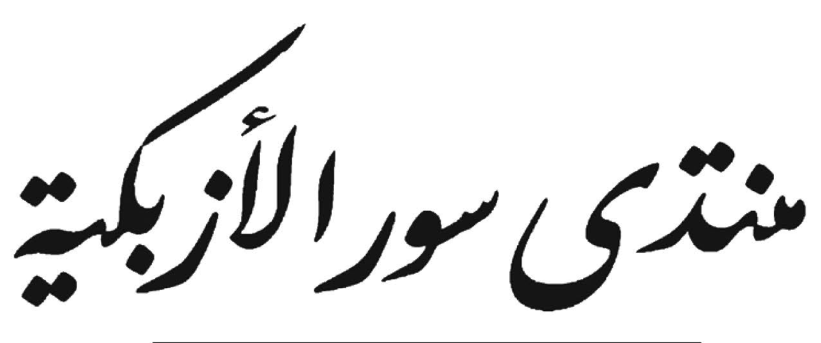
39 - Palmer, F.R . (1968) Selected Papers of J . R . Firth , Longmant.

40 - parret, H.(1974)discussing Language, Mouton, the Hague.

41 - Richards, J. C. – platt, J .– platt , H (1992) Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics – Longman.

42 - Robins,R.H.(1980): General Linguistics. An Introductory Survey. Longman London-Newyork P.282.

فهرس



رقم الإيداع

٩٨/١٦٢٧٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-19-7588-9